كتاب التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد

تأليف

الامام العلامة صاحب النهضة الدينية المجدد شيخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦
رضى الله عنه وارضاه

(عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومراجعة أصوله)
للمرة الرابعة سنة ١٣٦٦ هـ
أفاضل علماء نجد بمساعدة المكتبة المنيرية

طبعت على نفقة

obeikandl.com

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابُ التَّوْحِيدِ [١])

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) الْآيَةَ ، وَقَوْلُهُ: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الْآيَةَ ، وَقَوْلُهُ : (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) الْآيَةَ وَقَوْلُهُ : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) الْآيَاتِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) إِلَى قَوْلِهِ : (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا) الْآيَةَ . وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي : يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى

---

(١) التوحيد أفراد الخالق بالعبادة ذاتا وصفة وأفعالا ـ قال العلامة ابن قيم فى مدارج السالكين : التوحيد نوعان ، نوع فى العلم والاعتقاد . ونوع فى الإرادة والقصد ويسمى الأول التوحيد العلمى والثانى التوحيد القصدى الإرادى لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة والثانى بالقصد والإرادة

العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً قلت يارسول الله أفلا أبشر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه في الصحيحين .

﴿ فيه مسائل ﴾ الأولى الحكمة في خلق الجن والإنس ، الثانية أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه ، الثالثة ان من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، الرابعة الحكمة في ارسال الرسل ، الخامسة إن رسالة عمت كل أمة ، السادسة ان دين الأنبياء واحد ، السابعة المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت) الآية ، الثامنه أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ، التاسعة عظم شأن تلك الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف ، وفيها عشرة مسائل ، أولها النهي عن الشرك ، العاشرة الآيات المحكمات في سورة الأسرى وفيها ثمانية عشرة مسألة بدأها الله بقوله : ﴿ ولا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا) وختمها بقوله : (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحوراً) ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة) ، الحادية عشرة آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) ، الثانية عشرة التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته ، الثالثة عشرة معرفة حق الله

علينا ، الرابعة عشرة معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه ، الخامسة عشرة إن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة ، السادسة عشرة جواز كتمان العلم (١) للمصلحة ، السابعة عشرة استحباب بشارة المسلم بما يسره ، الثامنة عشرة الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله ، التاسعة عشرة قول المسئول عما لا يعلم ، الله ورسوله أعلم ، العشرون جواز تخصيص بعض الناس بالعلم (٢) دون بعض ، الحادية والعشرون تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الارداف عليه ، الثانية والعشرون جواز الارداف على الدابة ، الثالثة والعشرون فضيلة معاذ بن جبل . الرابعة والعشرون عظم شأن هذه المسألة .

(بَابُ فَضْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) الآية

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ

---

(١) وجه ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر معاذا أن يكتمها الناس ولما أدركه الموت أخبر بها عند موته خروجا من الاثم أخذا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح لا غبار عليه .

(٢) آل في العلم للعهد الذهني وهو العلم الزائد على قدر الحاجة في إقامة الدين بدليل قوله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وليبلغ الشاهد الغائب ، الحديث رواه البخاري

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » أَخْرَجَاهُ وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عُتْبَانَ «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ » . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ (قَالَ قَالَ مُوسَى يَارَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ قُلْ يَامُوسَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَالَ يَارَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا قَالَ يَامُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ (قَالَ اللهُ تَعَالَى يَاابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ(١) الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً) .

فيه مسائل ، الأولى سعة فضل الله . الثانية كثرة ثواب التوحيد عند الله . الثالثة تكفيره مع ذلك للذنوب ، الرابعة تفسير الآية التي في سورة الأنعام ، الخامسة تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة ، السادسة أنك إذا

---

(١) القراب - بضم القاف وقيل بكسرها والضم أشهر - وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها.

جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين ، السابعة التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان الثامنة كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لاإله إلا الله ، التاسعة التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه ، العاشرة النص على أن الأرضين سبع كالسموات ، الحادية عشرة أن لهن عمار ، الثانية عشرة إثبات الصفات خلافا للأشعرية ، الثالثة عشرة أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله فى حديث عتبان « ان الله حرم على النار من قال لاإله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله » أن ترك الشرك ليس قولها باللسان ، الرابعة عشرة تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبده ورسوله ، الخامسة عشرة معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله . السادسة عشرة معرفة كونه روحا منه . السابعة عشرة معرفة فضل الايمان بالجنة والنار . الثامنة عشرة معنى قوله « على ما كان من العمل » التاسعة عشرة معرفة أن الميزان له كفتان . العشرون معرفة ذكر الوجه .

(بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (انَّ ابْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . وَقَالَ : (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) .

عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِى انْقَضَّ الْبَارِحَةَ ؟ فَقُلْتُ أَنَا ثُمَّ قُلْتُ

أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ قَالَ . فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ ارْتَقَيْتُ

قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قُلْتُ حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ قَالَ وَمَا حَدَّثَكُمْ؟

قُلْتُ حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ

حُمَةٍ قَالَ قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ

وَمَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ

إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ

فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ قِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ

النَّاسُ فِي أُولَئِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا

بِاللهِ شَيْئًا وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَأُخْبِرُوهُ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ

وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ فَقَالَ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ) . (١)

---

(١) الحديث رواه البخارى مطولا ومختصراً ومسلم والنسائى والترمذى وهاك شرح الفاظه : قوله انقض أى سقط : وقوله لارقية : ـ بضم الراء وسكون القاف وهى ـ العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات وسيأتى بابها . وقوله إلا من عين هو اصابة العائن غيره بعينه وهو أن يتعجب الشخص من الشىء حين يراه فيتضرر ذلك الشىء منه، وقوله أوحمة بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففه سم العقرب ونحوها . قال ابن الأثير : وقد جاء فى بعض الأحاديث جواز الرقيه وفى بعضها النهى والأحاديث فى القسمين كثيرة ، ووجه الجمع بينها أن الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربى وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه فى كتبه المنزلة وأن يعتقد أن الرقى نافعة لامحالة فيتكل عليها وإياها أراد بقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « ماتوكل من استرقى » ولا يكره منها ما كان فى خلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله والرقى المرويه . وقال أيضا معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لارقية إلا من عين أوحمة » لارقية أولى وأنفع وهذا كما قيل لافتى إلا على وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم غير واحد من أصحابه بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم ، وقوله « الرهط » هو من الرجال مادون العشرة وقيل إلى الأربعين . وقوله « إذ رفع لى سواد » أى أشخاص من بعد لاأدرى من هم وهذا يدل على أن

فيه مسائل * الأولى معرفة مراتب الناس فى التوحيد * الثانية مامعنى تحقيقه * الثالثه ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يكن من المشركين * الرابعه ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك ، الخامسه كون ترك الرقيه والكى من تحقيق التوحيد ، السادسه كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل ، السابعه عمق علم الصحابه لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل، الثامنه حرصهم على الخير ، التاسعه فضيلة هذه الأمه بالكميه والكيفيه(١)، العاشرة فضيلة أصحاب موسى، الحاديه عشرة عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام،

النبى صلى الله عليه وآله وسلم لايعلم الغيب . وقوله «بغير حساب ولاعذاب» قيل هل يدخلون وان كانوا أصحاب معاصى ومظالم؟ واجيب بأن الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة لايكونون إلا عدولا مطهرين من الذنوب أو ببركة هذه الأوصاف يغفر الله لهم ويعفو عنهم . وقوله «فخاض الناس» أى تباحثوا فى شأنهم لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يبين للصحابة من هم السبعون. وقوله «لايسترقون» أى لايطلبون الرقية ممن يرقى وقوله : «ولايكتوون» يعنى لايعتقدون أن الشفاء فى الكى كما كان عليه أهل الجاهلية وقوله «ولايتطيرون» أى لايتشاءمون بالطيور ونحوها كما كانت عادتهم قبل الاسلام فان العرب كانت تتطير بزجر الطير وغيره يخرج أحدهم لسفر فيسمع لفظا يدل على مكروه فيتشاءم منه فيرجع عن سفره ، والطيرة مايكون فى الشر والفأل مايكون فى الخير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الفأل ويكره التطير. وقوله «وعلى ربهم يتوكلون» أى يفوضون الأمر إلى الله تعالى فى ترتيب المسببات على الأسباب والله أعلم *

(١) الكمية ترجع إلى العدد والكيفية إلى الهيئة *

الثانية عشرة أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها ، الثالثة عشرة قلة من استجاب للأنبياء ، الرابعة عشرة أن من لم يجبه أحد يأتي وحده ، الخامسة عشرة ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة ، السادسة عشرة الرخصة في الرقية من العين والحمة ، السابعة عشرة عمق علم السلف لقوله قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا . فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني ، الثامنة عشرة بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه ، التاسعة عشرة قوله « أنت منهم » علم من أعلام النبوة ، العشرون فضيلة عكاشة ، الحادية والعشرون استعمال المعاريض ، الثانية والعشرون حسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم .

(بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ) وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ :(اِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

وَقَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :(وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (١).

---

(١) قال الراغب الاصفهاني: الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين به إلى الله تعالى وجمعه أصنام . قال بعض الحكماء : كل ماعبد من دون الله بل كل مايشغل عن الله تعالى يقال له صنم وعلى هذا الوجه قال ابراهيم صلوات الله عليه : (واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) فمعلوم أن ابراهيم مع تحققه بمعرفة الله تعالى واطلاعه على حكمته لم يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الجثث التي كانوا يعبدونها فكأنه قال أجنبني عن الاشتغال بما يصرفني عنك ـ اهـ فكل ماتقرب به إلى الله من نار أو كوكب أو قبر صالح أو غير صالح وغير ذلك فهو صنم فنسأل الله العصمة من ذلك كله والله أعلم .

وَفِي الْحَدِيثِ (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ الرِّيَاءُ) (١) وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلّٰهِ نِدًّا (٢) دَخَلَ النَّارَ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ) .

فيه مسائل * الاولى الخوف من الشرك * الثانية أن الرياء من الشرك * الثالثة أنه من الشرك الاصغر * الرابعة أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين الخامسة قرب الجنة والنار * السادسة الجمع بين قربهما فى حديث واحد * السابعة أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس * الثامنة المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الاصنام * التاسعة اعتباره بحال الاكثر لقوله (رب أنهن أضللن كثيراً من الناس) * العاشرة فيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخارى * الحادية عشرة فضيلة من سلم الشرك .

(بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى :

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) الْآيَةَ .

---

(١) رواه أحمد (٢) الند النظير المشارك له فى جوهره فكل ند مثل وليس كل مثل ندا

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَفِي رِوَايَةٍ (إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ) أَخْرَجَاهُ ، وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ . (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقِيلَ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ

الرَّايَةَ وَقَالَ انفُذْ عَلَى رِسْلِكَ(١) حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ) (٢) يَدُوكُونَ أَيْ يَخُوضُونَ .

فيه مسائل ، الأولى أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ ، الثانية التنبيه على الاخلاص لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه ، الثالثة أن البصيرة (٣) من الفرائض ، الرابعة من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله تعالى عن المسبة ، الخامسة أن من قبح الشرك كونه مسبة لله ، السادسة وهي من أهمها ابعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك ، السابعة كون التوحيد أول واجب ، الثامنة أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة ، التاسعة أن معنى أن يوحدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، العاشرة إن الانسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها ، الحادية عشرة التنبيه على التعليم بالتدريج ، الثانية عشرة البداءة بالأهم فالأهم ، الثالثة عشرة مصرف الزكاة ، الرابعة عشرة كشف العالم الشبهة عن المتعلم ، الخامسة عشرة عن كرائم الأموال ، السادسة عشرة اتقاء دعوة المظلوم ، السابعة عشرة الأخبار بأنها لا تحجب ، الثامنة عشرة

---

(١) هو بضم الفاء من باب قعد أي امض ، والرسل بكسر الراء المهملة الهينة والتأني أي اذهب وامض متمهلا .

(٢) حمر النعم الابل الحمر . قال الراغب : النعم مختص بالإبل وجمعه أنعام وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة لكن الأنعام تقابل الإبل والبقر والغنم ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل (٣) البصير بالشيء العالم به يدعو إليه بصيرة منه

من أدلة التوحيد ماجرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء. التاسعة عشرة قوله لأعطين الراية الخ علم من أعلام النبوة. العشرون فضله في عين على علم من أعلامها أيضاً. الحادية والعشرون فضيلة على رضى الله عنه. الثانية والعشرون فضائل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح. الثالثة والعشرون الايمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى. الرابعة والعشرون الادب في قوله على رسلك. الخامسة والعشرون الدعوة إلى الاسلام قبل القتال. السادسة والعشرون أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا. السابعة والعشرون الدعوة بالحكمة لقوله أخبرهم بما يجب عليهم. الثامنة والعشرون المعرفة بحق الله في الاسلام. التاسعة والعشرون ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد. الثلاثون الحلف على الفتيا.

(بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) (١) الآيَةَ. وَقَوْلِهِ: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ

---

(١) قال الراغب الوسيلة التوسل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة قال تعالى: (وابتغوا اليه الوسيلة) وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة وهي كالقربة والواسل الراغب إلى الله تعالى اه أقول والتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الاستسقاء به صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وثبت

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)(١) الآية * وَقَوْلِهِ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ) الآية * وَقَوْلِهِ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ) الآية .

وفي الصحيح (٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : (مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)*

وشرح هذه الترجمة مابعدها من الابواب . فيه أكبر المسائل وأهمها وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة . منها آية الاسرى بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الاكبر . ومنها آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحداً مع أن تفسيرها الذي لاأشكال فيه طاعة العلماء والعبادة في غير المعصية لاستلزامهم إياهم . ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: (إنني براء مما تعبدون

التوسل بغيره صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته باجماع الصحابة اجماعا سكوتيا في حديث عمر رضي الله عنه لما قال كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك الحديث ولم ينكر عليه أحد من الصحابة واما التوسل بغير هذه المسألة لايجوز وفي هذا رسائل مؤلفة للأئمة منها كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية . والدر النضيد للشوكاني والله أعلم

(١) فطرني خلقني من الفطرة أي الخلقة (٢) أي صحيح مسلم

إلا الذى فطرنى) فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالات هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) . ومنها آية البقرة فى الكفار الذين قال الله فيهم : (وما هم بخارجين من النار) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيما ولم يدخلهم فى الاسلام فكيف بمن أحب الندحباً كبر من حب الله، فكيف بمن لم يحب إلا الله وحده ولم يحب الله؟. وفيها قوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله وهذا من أعظم مايبين معنى لا إله إلا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الاقرار بذلك بل ولا كونه لايدعو إلا الله وحده لاشريك له بل لايحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيالها من مسألة ماأعظمها وأجلها وياله من بيان ماأوضحه وحجة ماأقطعها للنازع .

(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الْحَلَقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ دَفْعِهِ)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) الآية :

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلَقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ مِنَ الْوَاهِنَةِ فَقَالَ انْزِعْهَا

فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا (١) رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ» (٢). وَفِي رِوَايَةٍ «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ». وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية. الواهنة عرق يأخذ فى المنكب وفى اليد كلها فيرقى منها، وقيل هو مرض يأخذ فى العضد وربما علق عليها جنس من الخرز يقال لها خرز الواهنة وهى تأخذ الرجال دون النساء، وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم فكان عنده فى معنى التمائم المنهى عنها اهـ والحلقة كانت المشركون تجعلها فى عضدهم من نحاس أصفر وغيره يزعمون أنها تحفظهم من أذى العين والجن ونحوهما. والخيط كانوا يعقدونه ويتقلدون به فنهى عنه لما فيه من شائبة الشرك.

(٢) الودعة - بفتحات - إحدى الودع قال فى النهاية. وهو شىء أبيض يجلب من البحر يعلق فى حلوق الصبيان وغيرهم اهـ وقوله فلا ودع الله له أى لا جعله فى دعة وسكون لأن ذلك من الشرك والله أعلم.

فيه مسائل ٠ الأولى التغليظ فيمن لبس الحلقة ونحوها لمثل ذلك ٠ الثانية أن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ٠ الثالثة أنه لم يعذر بالجهالة . الرابعة أنها لاتنفع فى العاجلة بل تضر لقوله : « لاتزيدك إلا وهنا » . الخامسة الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك . السادسة التصريح بأن من تعلق شيئا وكل اليه . السابعة التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك . الثامنة أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك . التاسعة تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة ٠ العاشرة أن تعليق الودع عن العين من ذلك ٠ الحادية عشرة الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لايتم له ومن تعلق ودعة فلا ودع له أى ترك الله له ٠

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ ﴾ (١)

فِي الصَّحِيحِ (٢) عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّهُ كَانَ مَعَ

---

(١) الرقى - بضم الراء وتخفيف القاف - جمع رقية مثل مدى ومدية وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفه كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، والتمائم جمع تميمه وهى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين فى زعمهم فأبطلها الشرع . والنهى فى الأحاديث عام فلا وجه لتخصيصه بغير تمائم القرآن ولو كان ذلك جائزاً لورد عن الشارع كما ورد الأذن بالرقى المخصوصة ، وقد تقدم الجميع بين أحاديث المنع من الرقية وجوازها عن ابن الأثير والله أعلم ٠

(٢) هو فى الصحيحين

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَرْسَلَ رَسُولاً أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ) (١) وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ) (٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ . وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعاً (مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ (٣) التَّمَائِمُ شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ يَتَّقُونَ بِهِ الْعَيْنَ لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالرُّقَى هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ وَخَصَّ مِنْهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ فَقَدْ رَخَّصَ

---

(١) قوله « فارسل رسولا » هو زيد بن حارثة كما بينه الجاحظ . وقوله من وتر هو بفتحتين وأحد أوتار القوس وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر ابدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقادا منهم أنه يرد عن الدابة العين ويدفع عنهم المكاره فنهاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئا .

(٢) قال الحافظ التولة بكسر التاء وفتح الواو واللام مخففة شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وإنما كان من الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى .

(٣) ورواه أيضا أبو داود والحاكم .

فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة ، والتولة هو شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة الى زوجها والرجل إلى امرأته ، وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ يا رويفع لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمدا بريء منه » . وعن سعيد بن جبير . قال : من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة) رواه وكيع (١) ، وله عن ابراهيم ، قال كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن

فيه مسائل . الأولى تفسير الرقى والتمائم ، الثانية تفسير التولة ، الثالثة أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء ، الرابعة أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك ، الخامسة أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا . السادسة أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك . السابعة الوعيد الشديد في من تعلق وترا . الثامنة فضل ثواب من قطع تميمة من انسان ، التاسعة أن كلام ابراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله .

(١) وله عند أهل العلم حكم الرفع لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي والخبر مرسل لأن سعيدا تابعي . ووكيع هو ابن الجراح ثقة أمام صاحب تصانيف منها الجامع روى عنه الامام أحمد وطبقته مات سنة ١٩٧ .

﴿ بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا ﴾ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى) (١) الآيَاتِ

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ (قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ (٢)

---

(١) اللات والعزى ومناة أسماء لأصنام كانت تعبد فى الجاهلية أما اللات فكانت لثقيف والعزى لقريش وبنى كنانة ومناة فى بنى هلال . قال ابن هشام كانت لهزيل وخزاعة

(٢) قوله « حدثاء عهد » أى قريب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول فى الاسلام فلم يتمكن الدين فى قلوبهم . وفيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لايجهل هذا وأن المنتقل من الباطل الذى يعتاد قلبه لايأمن من أن يكون فيه بقية من تلك العادة كما قال المصنف وقوله « ينوطون » أى يعلقون أسلحتهم عليها تبركا بها وتعظيما لها . وقوله « ذات

فيه مسائل . الأولى تفسير آية النجم . الثانية معرفة صورة الأمر الذى طلبوا . الثالثة كونهم لم يفعلوا . الرابعة كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أن يحبه . الخامسه أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل السادسه أنهم لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ماليس لغيرهم . السابعة أن النبي ﷺ لم يعذرهم الأمر بل رد عليهم بقوله الله أكبر إنها السنن لتتبعن

أنواط ، جمع نوط وهو مصدر سمى به المنوط . ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله فقصدوا التقرب به اليه سبحانه وإلا فهم أجل قدرا من أن يقصدوا مخالفـــة النبي ﷺ . وقوله « الله أكبر » وفى رواية « سبحان الله » المراد تعظيمه تعالى وتنزيهه عن الشرك بأى نوع كان مما لايجوز أن يطلبه أو يراد به إلا الله . فكان النبي ﷺ يستعمل التكبير والتسبيح فى حال التعجب تعظيما لله وتنزيها له سبحانه إذا سمع من أحد ما لايليق به تعالى مما فيه هضم للربوبية ونقص فى الالوهية وهكذا ينبغى لكل من يوحد الله ولا يشرك به شيئا أن يكبر ويسبح عند سماع مالا ينبغى أن يقال فى الدين وقوله « إنها السنن » بضم السين أى الطرق والمراد بها تقليد من تقدمهم من أهل مشرك والضـــلال . وقوله « قلتم » إلخ شبه مقالتهم هذا بقول بنى إسرائيل لكونها حذو النعل بالنعل وأن اختلفت العبارتان ، قال فى الدين الخالص وفيه أن الانسان قد يستحسن شيئا يظنه مقربا إلى الله تعالى وهو مبعده من رحمته ومدنيه من سخطه وإذا كان يقع مثل هذا الجهال والقال فى سلف الأمة من الصحابة رضى الله عنهم فما ظنك بهذا الزمان الأخير الفاسد الكثير الآفات ولايعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ماوقع فى هذه الأزمنة والعصور فى كثير من المسلمين بالعلماء والعباد

سنن من كان قبلكم فغلط هذا الأمر بهذه الثلاث ، الثامنة الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بنى إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلها التاسعة أن نفى هذا من معنى لا إله الا الله مع دقته وخفائه على أولئك، العاشرة أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف الا لمصلحة . الحادية عشرة أن الشرك فيه أكبر وأصغر لانهم لم يرتدوا بذلك . الثانية عشرة قولهم ونحن حدثاء عهد بكفر فيه أن غيرهم لا يجهله ذلك. الثالثة عشرة ذكر التكبير عند التعجب خلافا لمن كرهه . الرابعة عشرة سد الذرائع . الخامسة عشرة النهى عن التشبه بأهل الجاهلية . السادسة عشرة الغضب عند التعليم . السابعة عشرة القاعدة الكلية لقوله أنها السنن الثامنة عشرة أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر ، التاسعة عشرة أن كل ماذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن انه لنا ، العشرون أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الامر فصار فيها التنبيه على مسائل القبر أما من ربك فواضح وأما من نبيك فمن اخباره بأنباء الغيب وأما مادينك فمن قولهم اجعل لنا الى

والموالى والاهالى مع أرباب القبور وغلوهم فى تعظيمها والخضوع لها والعكوف بها والبناء عليها والباسها بالثياب الفاخرة وصرف جل الاكرام لها بالحضور لديها بالمراسيم والاعراس ونحوها ويحسبون أنهم على شىء وليسوا فى الحقيقة على شىء الا على الذنب الاكبر الذى لا يغفره الله تعالى أبدا والوزر الاعظم الذى هو الشرك الجلى والكفر الواضح، وقوله «لتركبن سنن من كان قبلكم» فيه دليل أن هذه الامة تقلد من قبلها من الامم الضالة وتأتى بما أتته من الافعال الشركية والكفرية التى تخرجهم من النور الى الظلمات ومن السنة البيضاء الى حلك البدع والمحدثات والله أعلم *

آخرة . الحادية والعشرون أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين الثانية والعشرون أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لايؤمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة لقولهم ونحن حدثاء عهد بكفر .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ فِى الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَاشَرِيكَ لَهُ)(١) الْآيَةَ وَقَوْلِهِ : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) .

وَعَنْ عَلِىٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (حَدَّثَنِى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ لَعَنَ

---

(١) قال الحافظ ابن كثير : يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أى أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى ، قال مجاهد : النسك الذبح فى الحج والعمرة . قال الامام ابن تيمية : أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب الى الله والى عدته عكس حال أهل الكبر والانفة وأهل الغنى عن الله تعالى الذين لاحاجة لهم فى صلاتهم الى ربهم والذين لاينحرون له خوفا من الفقر ولهذا جمع بينهما فى قوله : (قل أن صلاتى ونسكى)

اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ) (١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ قَالُوا وَكَيْفَ ذَلِكَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَايُجَاوِزُهُ رَجُلٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا قَرِّبْ قَالَ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ قَالُوا لَهُ قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ وَقَالُوا لِلْآخَرِ

---

(١) اللعن البعد عن مظان الرحمة ومواطنها واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة أو دعى عليه بها . قال صاحب النهاية : أصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء ، وفى الحديث جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان : أحدهما أنه جائز اختاره ابن الجوزى . وغيره والثانى أنه لايجوز واختاره أبو بكر عبد العزيز وشيخ الاسلام رحمهم الله تعالى وهو المتجه جمعا بين الروايات . وقوله « محدثا » روى بكسر الدال المهملة وفتحها فعلى الأول معناه نصر جانبه وآواه واجاره من خصمه وحال بينه وبين من يقتص منه وعلى الثانى هو الأمر المبتدع نفسه ومعنى ايوائه الرضا به والصبر عليه فانه إذا رضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه . ومنار الأرض بفتح الميم علامات حدودها ومعالمها يفعل ذلك ليغتصب من جاره أرضه والله أعلم .

قَرِّبْ فَقَالَ مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئاً دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِى كِتَابِ الزهد له

فيه مسائل ، الأولى تفسير (قل ان صلاتى ونسكى) الثانية تفسير (فصل لربك وانحر) ، الثالثة البداءة بلعن من ذبح لغير الله ، الرابعة لعن من لعن والديه ومنه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك (١) ، الخامسة لعن من آوى محدثا وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق لله فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك ، السادسة لعن من غير منـــار الأرض وهى المراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير ، السابعة الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم ، الثامنة هذه القصة العظيمة وهى قصة الذباب ، التاسعة كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم ، العاشرة معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر ، الحادية عشرة ان الذى دخل النار مسلم لأنه لو كان كافرا لم يقل دخل النار فى ذباب ، الثانية عشرة فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك فعله والنار مثل ذلك » . الثالثة عشرة معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

---

(١) شتم الرجل والديه من الكبائر لما فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من الكبائر شتم والديه قالوا يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه

(بَابُ لَا يُذْبَحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ)

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) الْآيَةَ

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ (١) فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قَالُوا لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالُوا لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ بِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادِهِ عَلَى شَرْطِهِمَا

فيه مسائل . الأولى تفسير قوله : (لا تقم فيه أبداً) الثانية أن المعصية قد تؤثر فى الأرض وكذلك الطاعة . الثالثة رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينه لنزول الأشكال . الرابعة استفصال المفتى إذا احتاج إلى ذلك . الخامسة أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع . السادسة المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله . السابعة المنع منه إذا كان فيها عيدا من أعيادهم ولو بعد زواله ، الثامنة أنه لايجوز الوفاء بما

---

(١) هو بضم الباء وقيل بفتحها قال البغوى موضع فى أسفل مكة دون يلملم وقال ابن الأثير فى الغريب: هضبة من وراء ينبع

نذر فى تلك البقعة لأنه نذر معصية . التاسعة الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم ولو لم يقصده ، العاشرة لانذر فى معصية . الحادية عشر لانذر لابن آدم فيما لا يملك .

(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ) لِقَوْلِهِ تَعَالَى (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) (١) وَقَوْلِهِ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) (٢)

---

(١) الآية تدل على وفاء النذر ومدح من فعل ذلك فالنذر من العبادة فصرفه لغير الله شرك فاذا نذر طاعة وجب عليه الوفاء بها والنذر قربة إلى الله تعالى ولهذا مدح الموفين بها فان نذر لمخلوق تقربا إليه وتشفعا منه له عند الله أوليكشف ضره ونحو ذلك فقد أشرك فى عبادته سبحانه غير ضرورة كما أن من صلى لله وصلى لغيره فقد أشرك ، ووجـــه الدلالة من الآية الشريفة على هـذا المعنى أن مدح الموفين بالنـذر والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم وذلك هو العبادة فمن جاء به لغير الله تقربا به اليه فقد أشرك .

(٢) قال ابن كثير : يخبر بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه إذا علمت ذلك تعرف أن هذه النذور الواقعة من عباد القبور تقربا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم أو ليشفعوا لهم شرك فى العبادة بلا ريب كما قال تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الآية قال الشيخ قاسم فى شرح دور البحار : النذر الذى ينذره أكثر العوام على ماهو مشاهد كأن يكون للانسان غائب أو مريض وله حاجة فيأتى إلى

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ)

فيه مسائل . الأولى وجوب الوفاء بالنذر . الثانية إذا أثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك . الثالثة ان نذر المعصية لايجوز الوفاء به

(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ) (١) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (وَأَنَّهُ كَانَ

قبر بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول ياسيدى فلان ان رد الله غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع كذا أو الزيت كذا فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه . منها أنه نذر لمخلوق والنذر له لايجوز لأنه عبادة والعبادة لاتكون لمخلوق . ومنها أن المنذور له ميت والميت لايملك شيئاً ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربا اليهم محرم باجماع المسلمين نقل ذلك عنه ابن نجيم فى البحر الرائق ونقله المرشدى فى تذكرته وغيرهما عنه وزادوا وقد ابتلى الناس بهذا لاسيما فى مولد البدوى وغيره من المشهورين فى الاعتقاد ، وقال فى شرح المنهاج قريب من هذا وكلام العلماء أهل المعرفة فى هذا الباب كثير ولا حاجة بنا إلى نقله ، وفى ذلك كفاية وكتاب الله وسنة نبيه يغنيان عن ذلك كله والله أعلم .

(١) قال ابن كثير: الاستعاذة هى الالتجاء الى الله والالتصاق بجنابه من شر

رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) (١) وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢)

كل ذى شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير . اهـ وهذا تمثيل وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والانطراح بين يدى الرب والافتقار اليه والتذلل لديه أمر لاتحيط به العبارة .

(١) وذلك ان الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد نفر وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد كبير الجن . قال مجاهد : كانوا إذا هبطوا وادياً يقولون نعوذ بعظيم هذا الوادى فزادوا الكفار طغيانا ، قال الحافظ بن كثير فى تفسيره : فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوا رهقا أى خوفا وإرهابا وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم اهـ

(٢) فى هذا الحديث دليل على أن الله شرع لأهل الاسلام أن يستعيذو بكلمات الله بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . ومعنى التامات كما قال القرطبي : الكاملات التى لايلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر . وقيل معناها الكافية الشافية : قال شيخ الاسلام ابن تيمية وقد نص الائمة كاحمد وغيره على أنه لاتجوز الاستعاذة بمخلوق ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التى لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها

فيه مسائل . الأولى تفسير آية الجن . الثانية وإن كان من الشرك الثالثة الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك . الرابعة فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره . الخامسة أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ) أَوْ يَدْعُو غَيْرَهُ (١) وَقَوْلِ

استعاذة بمخلوق وذلك شرك . قال القرطبي : هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلا وتجربة فاني منذ سمعت هذا الخبر عملت به فلم يضرني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت في نفسي فاذا اني قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات اهـ ، والله أعلم .

(١) الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة . والاستعانة طلب العون . قال بعض العلماء الفرق بينها وبين الدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب والدعاء أعم منه ومن غيره فبينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة . والدعاء نوعان دعاء عباده ودعاء مسألة ويراد في القرآن هذا تارة وتارة هـذا ويراد به مجموعهما أيضا . فدعاء المسألة هو طلب ماينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ولهذا أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك ضراً ولا نفعا كقوله تعالى (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه في الرسالة السنيه : فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن انتسب إلى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة

اللهِ (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ) (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) الآيَةَ وَقَوْلِهِ (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ) الآيَةَ. وَقَوْلِهِ (وَمَنْ أَضَلُّ

فليعلم المنتسب إلى الاسلام والسنة بهذه الأزمان قد يمزق أيضاً من الاسلام لأسباب. منها الغلو فى بعض المشايخ بل الغلو فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه بل الغلو فى المسيح عليه السلام فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان انصرنى وأغثنى وارزقنى وعافنى أو أنا فى حسبك وحفظك وحمايتك ورعايتك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل فان الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده لاشريك له ولا يدعو معه إلها والذين يدعون مع الله إلها آخر مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات وإنما كانوا يعبدونهم ويعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم يقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة واستعانة قال ومن جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا نقله عنه صاحب الفروع وصاحب الانصاف وصاحب الاقناع وغيرهم. قال فى الدين الخالص وذكره ابن تيمية رحمه الله تعالى فى مسألة الوسائط ونقلوه منه فى الرد على ابن جرجيس اهـ أقول: اعلم أن الاستغاثة

مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (١) الآيَتَيْنِ ،

فى الأسباب الظاهرية العادية فى الأمور الحسية فى قتال أو إدراك عدو أوسبع أو نحوه تجوز كقولهم بالزيد للمسلمين بحسب الأفعال الظاهرة وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو فى الأمور المعنوية فى الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقـــر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لايطلب فيها غيره . والله أعلم .

(١) قال ابن عطية فى قوله تعالى : (ولا تدعو من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) هذا الأمر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان كذلك فأحرى أن يتحذر من ذلك غيره ، والخطاب خرج مخرج الخصوص وهو عالم الأمة . قال ابن جرير . فى هذه الآية يقول تعالى ولا تدعو يامحمد من دون معبودك وخالقك شيئاً لاينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا يضرك فى دين ولا دنيا ـ يعنى بذلك الآلهة ـ يقول : أتعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها فانها لاتضر ولا تنفع فان فعلت ذلك ودعوتها من دون الله فانك إذا من الظالمين أى المشركين بالله والله أعلم ، دلت هذه الآية على أنه سبحانه هو المنفرد بالملك والقهر والعطاء والمنـع والضر والنفع دون كل ماسواه فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده المعبود وحده فان العبادة لاتصلح إلا لمالك النفع والضر ولا يملك ذلك ولا شيئاً مما هنالك غيره كائنا من كان من أوليائه أو أعدائه فهو المستحق للعبادة والدعوة وحـده دون من لايضر ولا ينفع ، . وقوله تعالى : (فابتغوا عنـــد الله الرزق) أمر الله عباده بابتغاء الرزق عنده وحده دون من سواه ممن لم يملك لهم رزقا

وَقَوْلِهِ (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (١)
وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ « أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ » .

فيه مسائل : الأولى أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف الخاص على العام . الثانية تفسير قوله (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) الثالثة ان هذا هو الشرك الأكبر . الرابعة أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء غيره صار من الظالمين . الخامسة تفسير الآية التي بعدها . السادسة كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً . السابعة تفسير الآية الثالثة . الثامنة أن

من السموات والأرض فتقديم الظرف أفاد الاختصاص واعبدوه من عطف العام على الخاص فان طلب الرزق من الله من العبادة التي أمر بها . قال الحافظ ابن كثير معناه ابتغوا عند الله الرزق لا عند غيره لأنه المالك له وغيره لا يملك شيئا من ذلك وأخلصوا له العبادة وحده لا شريك له وأشاروا له على ما أنعم عليكم اليه ترجعون فيجازي كل عامل بعمله ، وقوله تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله) الآية فيه نفي سبحانه أن يكون أحد أضل ممن يدعو غيره وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة والآية تعم كل من يدعو من دون الله . والله أعلم

(١) قرر المولى تعالى أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه منفرد باجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك وأنه القادر على دفع الضر والقادر على إيصال الخير فهو المنفرد لذلك فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي وغير ذلك .

طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا من الله التاسعة تفسير الآية الرابعة . العاشرة أنه لا أضل ممن دعا غير الله . الحادية عشرة أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه . الثانية عشرة أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له . الثالثة عشرة تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو . الرابعة عشرة كفر المدعو بتلك العبادة الخامسة عشر ان هذه الأمور بسبب كونه أضل الناس السادسة عشرة تفسير الآية الخامسة . السابعة عشر الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين . الثامنة عشرة حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله .

(بَابُ) قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : (أَيُشْرِكُونَ مَالَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا) الآيَةَ (١) وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

---

(١) قال المفسرون : هذه الآية فيها توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى مالا يخلق شيئا وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه وهذا برهان ظاهر ودليل باهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والصالحين وأشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يستنصر ربه على المشركين ويقول : اللهم أنت عضدي وأنت نصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل .

مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) (١) الآيَةَ .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ شُجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَتُهُ فَقَالَ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ فَنَزَلَتْ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، (٢) وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ

---

(١) هو الأثر الذى فى ظهر النواة يضرب مثلا للشىء الطفيف

(٢) الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله مسلم . والنسائى . والترمذى والامام أحمد بن حنبل . قال ابن اسحاق فى المغازى : حديث حميد الطويل عن أنس قال : كسرت رباعيـــة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد وشج وجهه وجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله الآية اهـ وذكر ابن هشام فى السيرة من حديث أبى سعيد الخدرى أن عتبة بن أبى وقاص هو الذى كسر رباعية النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهرى هو الذى شجه فى وجهه وأن عبد الله بن قميئة جرحه فى وجنته فدخل حلقتان من حلق المغفر فى وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون فأخذ على بن أبى طالب كرم الله وجهه بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومسح مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا بَعْدَمَا يَقُولُ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ فَأَنْزَلَ اللهُ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) الْآيَةَ. وَفِي رِوَايَةٍ (يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ). وَفِيهِ عَنْ

الله عليه وآله وسلم: من مس ذكره فلم تصبه النار. قال القرطبي الرباعية بفتح الراء وتخفيف الباء هي كل سن بعد ثنية. قال النووي: وللاسنان أربع رباعيات ولم تقلع الرباعية من أصلها بل كسرت فذهب منها فلقة قاله الحافظ، والشيخ قال ابن الأثير: في الرأس خاصة في الأصل وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه ثم استعمل في غيره من الأعضاء. قال النووي: وفي هذا وقوع الآلام والابتلاء بالأنبياء عليهم السلام لينالوا جزيل الأجر والثواب ولتعرف أممهم ما أصابهم من أهل الشرك فيتأسوا بهم قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون ولا تفتن بما أظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم اهـ يعني من الغلو القبيح والعبادة لهم وليكن للمؤمنين الآن أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على الأذى الحاصل من الموحدين والمارقين وليجاهدوهم وليثبتوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين. والله أعلم.

أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ قَالَ : يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَاصَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَيَافَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَاشِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا » (١) ☆

فيه مسائل . الأولى تفسير الآيتين . الثانية قصة أحد . الثالثة قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون فى الصلاة . الرابعة أن المدعو عليهم كفار . الخامسة أنهم فعلوا أشياء لايفعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم . السادسة أنزل الله عليه فى ذلك (ليس لك من الأمر شىء) السابعة قوله (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) فتاب عليهم فآمنوا . الثامنة القنوت فى النوازل . التاسعة تسمية المدعو عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم . العاشرة لعنة المعين

---

(١) أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته الأقربين أن يشتروا أنفسهم بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له وحده لاشريك له وطاعته فيما أمروا والانتهاء عما نهى عنه فان ذلك هو الذى ينجى من عذاب الله لا الاعتماد على الأنساب والأحساب فان ذلك غير نافع عند رب الأرباب وليس

فى القنوت : الحادية عشر قصته ﷺ لما أنزل عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) الثانية عشر جده ﷺ بحيث فعل فى هذا الأمر ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن ، الثالثة عشر قوله للأبعد والأقرب لأغنى عنكم من الله شيئاً حتى قال يافاطمة بنت محمد لأأغنى عنك من الله شيئاً فاذا صرح وهو سيد المرسلين بأن لايغنى شيئا عن سيدة نساء العالمين وامن الإنسان أنه لا يقول الآن الحق ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغرابة الدين .

(بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى) (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ (١) عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

بدافع العقاب والعذاب . وبين أنه صلى الله عليه وآله وسلم لايستطيع أن ينفعهم بشىء وهذا أكبر دليل على أنه لاينجى من عذاب الله إلا الإيمان الخالص الذى هو التوحيد والعمل الصالح الذى هو عدم الشرك وأنه لايجوز أن يسأل العبد إلا مايقدر عليه من أمور الدنيا وأما الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل مالا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا منه سبحانه وان ماعند الله لاينال إلا بتجريد التوحيد المفيد واخلاص العمل السديد له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا به اليه فاذا كان لاينفع عمه وابنته وقرابته إلا بذلك فمن ذا الذى ينفعه مع عدم هذا الايمان والعمل بل غيره أولى بالحرمان عن هذا وأحرى به ، وفى هـــذا أكبر اعتبار وموعظة لمن عقل ذلك وتدبر .

(١) معنى فزع زال الفزع عنها قاله ابن عباس . وابن عمر . وعبد الرحمن السلمى . والشعبى . والحسن وغيرهم . قال ابن جبير : الذى عن قلوبهم الملائكة وإنما فزع عنهم غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى بالوحى :

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى

وقيل الضمير راجع إلى المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة فى الدنيا رجعت اليهم عقولهم يوم القيامة وكشف عنها الغطاء قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير واختار الأول ابن جرير وغيره . قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره بعد ما نقل الاحتمالين : وقد اختار ابن جرير القول الأول أن الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذى لامرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار وذكر طرفا منها واورد الحديث الآتى الذى أورده المصنف هنا وعزاه إلى البخارى وقال انفرد باخراجه البخارى دون مسلم من هذا الوجه . ورواه أبو داود . والترمذى . وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم اهـ .

لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ» (١)

---

(١) قوله فى الحديث إذا قضى أى إذا تكلم الله فى الأمر الذى يوحيه إلى أمين الوحى جبريل عليه السلام بما أراده كما صرح بذلك الحديث الذى بعد هذا وكما فى رواية حديث ابن مسعود الذى رواه أبو داود وسعيد ابن منصور وابن جرير « إذا تكلم بالوحى سمع أهل السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان » وروى ابن أبى حاتم . وابن مردويه عن ابن عباس « قال لما أوحى الجبار إلى محمد ﷺ دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحى فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحى فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا أن الله لا يقول إلا حقا » وقوله « خضعانا » بضم فسكون من الخضوع . وفى رواية خضعا بضم الأول وتشديد الثانى وهو مصدر بمعنى خاضعين ؛ والصفو أن الحجر الأملس . وقوله ينفذهم بفتح الياء وسكون النون وضم الفاء وبالذال المعجمة أى يمضى فيهم والاشارة بذلك الى القول والضمير فى ينفذهم للملائكة أى يخلص ذلك القول ويمضى فيهم حتى يفزعوا منه . وعن ابن مردويه من حديث ابن عباس « فلا ينزل على أهل السماء إلا صعقوا » والمراد بمسترق السمع الشياطين أى هم يسمعون الكلمة التى قضاها الله يركب بعضهم بعضا ، وصف سفيان بن عيينة تركيب بعضهم فوق بعض بالتحريف والتبديد أى التفريق بين الأصابع

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ أَوْ قَالَ رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلّٰهِ سُجَّدًا فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ قَالَ فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» (١).

والمعنى يستمع الفوقانى الكلمة فيلقيها إلى آخر تحته وهلم جرا إلى أن يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن. والشهاب هو شعلة نار يرمى بها مسترق السمع وفى هذا الحديث دليل على اثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بعظيم جلاله وأنه تعالى يزل متكلما إذا شاء الكلام وكلامه مسمع يسمعه الملائكة وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفاً عن خلف وكابرا عن كابر وأبا عن جد خلافا للجهمية ونفاة المعتزلة فاياك أن تلتفت إلى ما زخرفه أهل التعطيل وروجه أهل الاباطيل والله أعلم.

(١) رواه ابن أبى حاتم ومعنى أخذت رجفة أى ارتجفت وهو دليل على أنها تسمع كلامه تعالى وقوله أو قال رعدة شك من الراوى والراء منها مفتوحة وذكر خوف الله ظاهر فى ان السموات تخاف الله بما يجعل الله فيها من الاحساس ومعرفة من خلقها

فيه مسائل ، الأولى تفسير الآية . الثانية مافيها من الحجة على أبطال الشرك خصوصا ماتعلق على الصالحين وهى الآية التى قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب . الثالثة تفسير قوله قالوا الحق وهو العلى الكبير . الرابعة سبب سؤالهم عن ذلك . الخامسة أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله قال كذا وكذا . السادسة ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل . السابعة أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه . الثامنة أن الغشى يعم أهل السموات كلهم . التاسعة ارتجاف السموات لكلام الله . العاشرة أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله . الحادية عشر ذكر استراق الشياطين . الثانية عشر صفة ركوب بعضهم بعضا . الثالثة عشر سبب ارسال الشهب : الرابعة عشر أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها فى أذن وليه من الانس قبل أن يدركه الشهاب . الخامسة عشرة كون الكاهن يصدق بعض الأحيان . السادسة عشرة كونه يكذب معها مائة كذبة . السابعة عشرة أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التى سمعت من السماء . الثامنة عشر قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة . التاسعة عشر كونهم يلقى بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها . العشرون اثبات الصفات خلافا الأشعرية المعطلة . الحادية والعشرون بأن فى تلك الرجفة والغشى خوف من الله عز وجل . الثانية والعشرون أنهم يخرون لله سجدا .

(بَابُ الشَّفَاعَةِ (١) وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ

(١) الشفاعة هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم . يقال شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع الذى يقبل الشفاعة

أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) (١) وَقَوْلِهِ

والمشفع الذى تقبل شفاعته ، قال العلامة ابن قيم : ان الشفاعة ستة أنواع . الأول الشفاعة الكبرى التى يتأخر عنها أولوا العزم من الرسل عليهم السلام حتى تنتهى اليه صلى الله عليه وآله وسلم فيقول أنا لها وذلك حين تهرع الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم فى الموقف وهذه شفاعة يختص بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايشاركه فيها أحد . الثانى شفاعته لأهل الجنة فى دخولها وقد ذكرها أبو هريرة فى حديثه الطويل المتفق عليه . الثالث شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لايدخلوها . الرابع شفاعته فى العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم والأحاديث بها متواترة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من أنكرها وحاطوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال . الخامس شفاعته لقوم من أهل الجنة فى زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم وهذا مما لم ينازع فيه أحد . السادس شفاعته فى بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بأبى طالب وحده اه ، قال فى الدين الخالص قلت : لما كان المشركون فى قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا فى الشرك وابتلوا به لتعلقهم بأذيال الشفاعة كان ذلك هضما لحق الربوبية ونقصا لعظمة الالوهية وسوء ظن برب العالمين . والله أعلم .

(١) معنى الانذار الاعلام بأسباب المخافة والتحذير منها. قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ليس كل خلقه عاتب انما عاتب الذين يعلمون وهم المؤمنون باليوم الآخر أصحاب القلوب المتعظة والآذن الواعية

(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً)(١) وَقَوْلِهِ (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) وَقَوْلِهِ (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) * وَقَوْلِهِ (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) الآيَتَيْنِ(٢)

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: هذا كقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقوله: (يومئذ لا تنفع الشفاعة) الخ فاذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الاندادَ عند الله وهو سبحانه لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عنها جميع كتبه:

(٢) قال العلامة ابن قيم في الكلام على هذه الآية وما قبلها مما ذكر هنا: قد قطع الله الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعا فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع الملك. والشركة. والاعانة والظهور. والشفاعة فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك فان لم يكن شريكا له كان له معينا وظهيراً فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مرتبا منتقلا من الأعلى إلى الأدنى فنفى الملك والشركة فيه والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا تصيب فيها الشرك وهي الشفاعة باذنه سبحانه فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا وتجريدا للتوحيد وقطعا لأصول الشرك وموارده لمن عقلها والقرآن العظيم مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع منهم تحته وتضمنه له ونصه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يقضوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مِلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ أَوْ يَكُونَ عَوْنًا لِلَّهِ وَلَمْ يُبْقِ إِلَّا الشَّفَاعَةَ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ كَمَا قَالَ : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ » وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ

الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم أو فوقهم فى الضلالة والبدعة وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك اهقال فى الشرح : وهذا الذى ذكره هذا الامام هو حقيقة دين الاسلام كما قال سبحانه: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) .

بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحْمُودَ فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا القُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِأَذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالإِخْلَاصِ انْتَهَى كَلَامُهُ .

فيه مسائل . الأولى تفسير الآيات : الثانية صفة الشفاعة المنفية . الثالثة صفة الشفاعة المثبتة . الرابعة . ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود . الخامسة صفة ما يفعله ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد فاذا أذن الله له شفع . السادسة من أسعد الناس بها . السابعة أنها لا تكون لمن أشرك بالله . الثامنة بيان حقيقتها .

(بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى) (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) (١) الآيَةَ .

---

(١) تأتي الهداية بمعنى الدلالة بلطف على طريق النجاة والسعادة . وتأتي بمعنى التوفيق والتأييد وهو خلق الهدى في قلب الضال فمن الأول قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) أي دلنا عليه وأرشدنا اليه (وانك لتهدى إلى صراط مستقيم) ومن الثاني قوله تعالى : (إنك لا تهدى من أحببت) أي لا تخلق التوفيق والتأييد في قلب من أضله الله . والهداية الأولى عامة والثانية خاصة بالله تعالى : وسبب نزول هذه الآية موت أبي طالب على ملة عبد المطلب كما في الحديث الآتي بعد . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره يقول تعالى انك يا محمد لا تهدى من أحببت أي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدى

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ فَقَالَ لَهُ يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ فَقَالَا لَهُ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا عَلَيْهِ فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء)وكانت وفاة أبى طالب بمكة قبل الهجرة بقليل وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بعده بثمانية أيام . ومن حكمة الله تعالى فى عدم هداية أبى طالب إلى الاسلام ليبين لعباده أن ذلك اليه وهو القادر عليه دون من سواه فلو كان عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من العذاب والخلاص من النار ونحو ذلك شىء لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه أبو طالب الذى كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه فسبحان من بهرت حكمته العقول وأرشد العباد إلى مابدلهم على معرفته وتوحيده واخلاص العمل لله وتجريده فليتنبه من يدعى النسب وهو عن الشرع من المعرضين والله أعلم .

آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) وَأَنْزَلَ اللهُ فِى أَبِى طَالِبٍ (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ) ه

فيه مسائل . الأول تفسير قوله انك لاتهدى من أحببت الآية . الثانية تفسير قوله : (ما كان للنبي) الآية . الثالثة وهو المسألة الكبيرة تفسير قوله (قل لا إله إلا الله) بخلاف ما عليه من يدعى العلم (١) الرابعة أن باجهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل قل لا إله إلا الله فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الاسلام . الخامسة جده ﷺ ومبالغته فى اسلام عمه . السادسة الرد على من زعم اسلام عبد المطلب وأسلافه ه

---

(١) لأن معنى قل لا إله إلا الله أى اخلص التوحيد لله وحده لاشريك له لأن أبا طالب كان يعلم بما دلت عليه من نفى الشرك بالله واخلاص العبادة له وحده فان من قالها يعلم ويقين فقد برىء من الشرك والمشركين ودخل فى الاسلام ولانهم كانوا يعلمون ما دلت عليه وفى ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا الاسلام أو الكفر فلا يقولها إلا من ترك الشرك وبرىء منه ، ولقد جهل كثير من أدعياء العلم معنى لا إله إلا الله فيحكمون على كل من تلفظ بها بالاسلام ولو كان مجاهراً بالكفر والالحاد والزندقة كاستحلال ترك الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك مما علم حرمته من الدين ضرورة لاسيما فى هذا العصر الذى قل فيه الموحدون حقيقة وكثر فيه أهل البدع والالحاد ويمرقون من الدين أفواجاً أفواجا كما كانوا يدخلون فيه أفواجا أفواجا فنسأل الله تأييد الطائفة الباقية المتمسكة بدينها الخالى والخرافات أنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ه

السابعة كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له بل نهى عن ذلك . الثامنة مضرة أصحاب السوء على الانسان . التاسعة مضرة تعظيم الاسلاف والاكابر . العاشرة استدلال الجاهلية بذلك . الحادية عشرة الشاهد بكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته . الثانية عشرة التأمل فى كبر هذه الشبهة فى قلوب الضالين لأن فى القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره فلاجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

﴿ بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِم دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ وَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (١) .

---

(١) الغلو هو التجاوز فى الحد ومنه غلا السعر يغلو غلاء ، نهى الله أهل الكتاب عن الغلو والاطراء وهذا كثير فى النصارى فانهم تجاوزوا الحد فى عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التى أعطاها الله اياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه الها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه بل قد غلوا فى اتباعه وأشياعه من زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم فى كل ماقالوه سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو رشادا أو صحيحا أو كذبا وهذا قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية والمراد بالآية النهى لهم عن الافراد تارة والتفريط أخرى فمن الافراط غلو النصارى فى عيسى عليه السلام حتى جعلوه ربا ومن التفريط غلو اليهود فيه عليه السلام حتى جعلوه لغير رشدة ، وما أحسن قول الشاعر :

ولا تغل فى شىء من الأمور واقتصد كلا طرفى قصد الأمور ذميم

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) ، قَالَ هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ ، (١)

---

(١) الحديث رواه البخارى فى صحيحه قال فى فتح البيان : قال محمد ابن كعب : هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فنشأ بعدهم قوم يقتدون بهم فى العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا ثم نشأ قوم من بعدهم فقال لهم إبليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فاعبدوهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك الوقت وسميت هذه الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم . قال الماوردى : فاما (ود) فهو أول صنم معبود سمى ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل فى قول ابن عباس . وعطاء . ومقاتل وفيه يقول شاعرهم :

حباك ودفانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد غربا

وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر . وأما يعوق فكان لغطيف

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ ۞ وَعَنْ عُمَرَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَخْرَجَاهُ(١)

من مرار بالجرف من سبأ فى قول قتادة وقال المهدوى : لمراد ثم انطفان . وأما يغوث فكان لهمدان فى قول قتادة وعكرمة وعطاء . وقال الشعبى : كان لكهلان بن سبا ثم توارثوه حتى صار فى همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمدانى.

يريش الله فى الدنيا ويبرى ... ولا يبرى يعوق ولا يريش

وأما نسر فكان بذى الكلاع من حمير فى قول قتادة ومقاتل . قال الواقدى : كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة النسر الطائر . اهـ باختصار والله أعلم

(١) قوله لا تطرونى هو بضم أوله وسكون ثانيه من الاطراء وهو المبالغة فى المدح والغلو فالمعنى لا تجاوزوا الحد فى مدحى بغير الواقع فيجركم ذلك إلى الكفر كما جر الصارى اليه لما تجاوزوا الحد فى مدح عيسى بغير الواقع واتخذوه إلها وحرفوا قوله فى الانجيل عيسى نبى وانا والدته زعموا أن الأول بتقديم الباء الموحدة التحتية وخففوا لام الثانى . وقد ادعى البعض نحو ذلك فى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حيث قالوا ألا نسجد كذلك لنبينا فما يدعيه بعض فقراء الطرق الذين طمس الله بصائرهم وبصيرتهم

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ» (١) وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا». (٢)

فيه مسائل الأولى ان من فهم هذا الباب وبايين بعده تبين له غربة الاسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب. الثانية معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين. الثالثة أول شيء غيربه دين الأنبياء وماسبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم. الرابعة سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها. الخامسة أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل

فى كونه صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ما كان ويكون من علم الغيب وأنه يتصرف فى الدنيا بعد موته ويزور من شاء ويجوب مشارق الأرض ومغاربها ويحضر مجالسهم مجالس المكاء والتصدية غلط فاحش وجهل مركب منشؤه الغلو وعدم المعرفة، وقوله إنما أنا عبد أى ملك لله يتصرف فى بما يشاء وكيف شاء فلا خروج لى عن دائرة العبودية بوجه كسائر العباد فلا تقولوا فى حق شيئاً ينافى العبودية والرسالة والله أعلم.

(١) رواه الامام أحمد بن حنبل فى مسنده والنسائى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس (٢) قال فى الشرح قال الخطابى المتنطع المتعمق فى الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ومن التنطع الامتناع من المباح مطلقاً كالذى يمتنع من أكل الخبز واللحم ولبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء ويظن أنه من الزهد المستحب قال شيخ الاسلام تقى الدين - أى ابن تيمية - فهذا جاهل ضال اه وقال النووى فى شرح مسلم أى المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود فى أقوالهم وأفعالهم والله أعلم

فالأول محبة الصالحين والثانى فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره . السادسة تفسير الآية التى فى سورة نوح . السابعة جبلة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد . الثامنة فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر ، التاسعة معرفة الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل . العاشرة معرفة القاعدة الكلية وهى النهى عن الغلو ومعرفة مايؤل إليه . الحادية عشرة مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح . الثانية عشرة معرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى ازالتها . الثالثة عشرة معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها . الرابعة عشرة وهى أعجب وأعجب قراءتهم إياها فى كتب للتفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات فاعتقدوا أن ماهو نهى (١) الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال . الخامسة عشرة التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة . السادسة عشرة ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك . السابعة عشرة البيان العظيم فى قوله « لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم » فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين . الثامنة عشرة نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين . التاسعة عشرة التصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده . العشرون أن سبب فقد العلم موت العلماء (٢) .

---

(١) يعنى اعتقدوا أن النهى قاصر على ما كان كفرا مبيحا للدم والمال

(٢) ولاشك أن موت العلماء العالمين بأحكام الشريعة الغراء يفقد العلم ويذهب وبيق حثالة أدعياء ينسبون إلى العلم كذبا ومينا وهو منهم برىء

(بَابُ مَاجَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ فَكَيْفَ اذَا عَبَدَهُ)

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ « أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ فَقَالَ أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ »(١)-

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى غير موضع من صحيحه ومسلم والنسائى وقوله « أم سلمة » هى أم المؤمنين رضى الله عنها واسمها هند على الأصح بنت أبى أمية المخزومية هاجر بها زوجها أبو سلمة إلى الحبشة فلما رجعا إلى المدينة مات زوجها فتزوجها رسول الله ﷺ ، وقوله « كنيسة » هى بفتح الكاف معبد النصارى . وقوله « أولئك » بكسر الكاف وكذلك ما بعده والاشارة إلى البانين على قبور صالحيهم المساجد والخطاب لأم سلمة زوج النبى ﷺ وقوله « شرار الخلق » بكسر الشين جمع الشر كالخيار جمع الخير وإنما كانوا شرار الخلق لأنهم ضلوا الطريق المستقيم فاضلوا وسنوا لمن بعدهم الغلو فى قبور صالحيهم حتى أفضى بهم إلى عبادتها ، وهذا عام فى كل من فعل فعلهم من هذه الأمة التى سبق عليها القول بأن بعض الأمة يتبع سنن من كان قبلها من المشركين فنسأل الله السلامة والنجاة من ذلك .

فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ فِتْنَةِ الْقُبُورِ وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ. وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ - يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً -» أَخْرَجَاهُ (١).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) وأخرجه أيضاً النسائى فى سننه ، قوله « لما نزل » على صيغة المعلوم فى رواية أبى ذر وفاعله محذوف أى لما نزل الموت . وفى رواية غيره بضم النون وكسر الزاء على صيغة المجهول : وقوله « طفق » جواب لما أى جعل ، والخميصة كساء له أعلام . وقوله « إذا اغتم بها كشفها » أى إذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه . وقوله « فقال وهو كذلك » أى على تلك الحالة وهو حال الطرح والكشف . وقوله « يحذر ماصنعوا الخ » هو من كلام الراوى لا من كلام الرسول ﷺ وإنما كان يحذرهم من ذلك الصنيع لئلا يفعل بقبره مثله ، ولعل الحكمة فى ذلك أنه يصير بالتدريج شبيها بعبادة الأصنام كما هو حاصل الآن فى هذا الزمان من مقالاتهم فى قبور صلحائهم والتمسح بها والطواف حولها وتقبيل جوانبها والسجود لها لاسيما بمصر بلاد الفراعنة فنسأل الله العصمة من ذلك .

وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» (١) . فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم : معنى أبرأ أى امتنع من هذا وأنكره والخليل هو المنقطع اليه . وقيل المختص بشىء دون غيره قيل هو مشتق من الخلة بفتح الخاء وهى الحاجة . وقيل من الخلة بضم الخاء وهى تخلل المودة فى القلب فنهى صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون خاصة وانقطاعه إلى غير الله تعالى وقيل الخليل من لا يتسع القلب لغيره . قال العلماء : إنما نهى النبى ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ولما احتاجب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى زيادة فى مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضى الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبى بكر . وعمر رضى عنهما بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر فى المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن

آخرِ حياتِه ثم أنه لعن وهو في السياق من فعله والصلاة عندها
من ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قولها أخشى أن يتخذ مسجدا
فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا وكل موضع قصدت
الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا
كما قال ﷺ «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا». ولأحمد بسند
جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا «إن من شرار الناس من
تدركهم الساعة وهم أحياء وهم الذين يتخذون القبور مساجد»
ورواه أبو حاتم في صحيحه

فيه مسائل. الأولى ماذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند
قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل. الثانية النهي عن التماثيل وغلظ الأمر
في ذلك. الثالثة العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بين لهم هذا أولا ثم
قبل موته بخمس قال ماقال ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم. الرابعة

أحد من استقبال القبر ولذا قيل في الحديث «ولولا ذلك لابرز قبره غير
أنه خشي أن يتخذ مسجدا» اهـ. واعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة وهي
لاتقبل الشركة والمزاحمة وهي كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل «

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

تنبيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر . الخامسة أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم : السادسة لعنة إياهم على ذلك . السابعة أن مراده تحذير إيانا عن قبره . الثامنة العلة في عدم قبر ابراره . التاسعة في معنى اتخاذه مسجدا . العاشرة أنه قرن بين من اتخذها وبين من تقوم عليه الساعة فذكر (١) الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه على خاتمته . الحادية عشرة ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر (٢) أهل البدع بل أخرجهم بعض أهل السلف من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية وبسبب الرافضة وقع الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد . الثانية عشرة ما بلى به ﷺ من شدة النزع . الثالثة عشرة ما أكرم به من الخلة . الرابعة عشرة التصريح بأنها أعلى من المحبة . الخامسة عشرة التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة . السادسة عشرة الاشارة إلى خلافته .

---

(١) كذا في النسخة الاولى والنسخة الثانيه هكذا فذكر سد الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته في التركيب ركاكة . والمعنى أن النبي ﷺ ذكر ما كان ذريعة الشرك قبل وقوعه ليحذره الناس عند خاتمة أمره أي موته صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) الصحيح في استعمال أفعل التفضيل من الشر والخير شر وخير بدون همزة فكان الأحسن هنا حذفها موافقة للحديث هكذا قال بعضهم أقول جاء الوجهان في الحديث الا أن الحذف أكثر والله أعلم .

﴿ فى بَابُ مَاجَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾

رَوَى مَالِكٌ فِي المُوَطَّأِ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (اَللّٰهُمَّ لَاتَجْعَلْ قَبْرِى وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ).(١)

---

(١) قد استجاب الله جل و علا دعاء نبيه ﷺ قال العلامة شمس الدين ابن القيم : فاجاب رب العالمين دعاءه واحاطه بثلاثة جدران حتى غـــدت أرجاؤه بدعائه فى عزة وحمايه وصيان . والحديث يدل على أن قبر النبي ﷺ لو عبد لكان وثنا لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل اليه وقد تقدم قريبا بيان ذلك نقلا من النووى فارجع اليه : وقد عظمت الفتنة بالقبور بتعظيمها وعبادتها حتى اتخذت دينا ربى عليها الصغير وشاب عليها الكبير يرى تغييرها بدعة وفعلها سنة وتحقق قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كيف انكم اذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ عليها الصغير تجرى على الناس يتخذونها سنة اذا غيرت قيل غيرت السنة . وقوله « اشتد غضب الله الخ يدل على تحريم البناء على المساجد وتحريم الصلاة عندها وان ذلك من الكبائر وقد روى عن الإمام مالك امام دار الهجرة أنه كره ان يقول زرت قبر النبي ﷺ وعلل ذلك بقوله ﷺ : اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد الحديث كره رضى الله عنه إضافة هذا اللفظ الى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك سدا للذريعة . قال شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله ومالك قد أدرك التابعين وهم أعلم الناس بهذه المسألة فدل ذلك على أنه لم يكن معروفا عندهم الفاظ زيارة قبر النبي ﷺ . اهـ والله اعلم

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى قَالَ كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ» (١)

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ) (٢) رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ

---

(١) قوله «اللات والعزى» تقدم الكلام عليهما فيما سبق. والسويق دقيق الحنطة أو الشعير ونحوه يلته بالسمن أو الماء، وقوله بعد أن كان يلت السويق للحاج أى للحجاج والمعنى ان اللات كان رجلا صالحا يطعم الحجاج السويق فلما مات غلوا فيه لصلاحه فعكفوا على قبره حتى عبدوه وصار قبره وثنا من أوثان المشركين نسأل الله سلامة هذه الأمة ونجاتها مما تفعل بصالحيها من الغلو والعكوف على قبورهم وطلب ما يختص بالله تعالى من جلب نفع ودفع ضر لاسيما ما يقع فى مصر والعلماء ساكتون إنا لله وإنا اليه راجعون.

(٢) اللعن الطرد والبعد عن رحمة الله تعالى. وقوله «زائرات القبور» جمع زائرة وفى رواية «زوارات القبور» وهو يدل على تحريم زيارة النساء القبور وبه قال كثير من العلماء، وفى الباب أحاديث كثيرة تدل على تحريم زيارة القبور للنساء منها ما روى ابو داود والحاكم عن ابن عمرو «أن النبى ﷺ رأى فاطمة ابنته فقال ما اخرجك من بيتك؟ قالت أتيت أهل هذا الميت فرحمت على ميتهم فقال لها فلعلك بلغت معهم الكدى؟ قالت

فيه مسائل : الأولى تفسير الاوثان الثانية تفسير العبادة الثالثة أنه ﷺ لم يستعذ الا بما يخاف وقوعه. الرابعة قرنه بهذا اتخاذ قبور الانبياء مساجد . الخامسة ذكر شدة الغضب من الله السادسة وهى من أهمها صفة معرفة صفة عبادة اللات التى هى أكبر الاوثان . السابعة معرفة انه قبر رجل صالح الثامنة اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية التاسعة لعنة زوارات القبور . العاشر لعنة من أسرجها

معاذ ابته وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر قال لو بلغت معهم الكدى . فذكر تشدد فى ذلك . فسألت ربيعة ما الكدى فقال القبور فيما أحسب ، وفى رواية ولو بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جدا ابيك قال الحاكم صحيح الاسناد على الشيخين ولم يخرجاه . وروى بن ماجه عن على رضى الله عنه ، قال خرج رسول الله ﷺ فاذا نسوة جلوس قال : ما يجلسكن قالوا الجنازة ننتظر قال هل تغسلن؟ قلن لا قال هل تحملن قلن لا قال تدلين فيمن يدلى ؟ قلن لا قال فارجعن مأزورات غير مأجورات ، ورواه أبو يعلى من حديث أنس وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى أن النساء لم يدخلن فى الاذن فى زيارة القبور لأن قوله عليه الصلاة والسلام : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة » صيغة تذكير لا يتناول النساء الا تغليبا ولو كن داخلات فى هذا الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور وما علمنا أحدا من الأئمة استحب لهن زيارة القبور ولا كان النساء على عهد النبى ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور أو يضاف النبى ﷺ قال الاذن للرجال كما فى بعض الروايات فى مسند أحمد بأن ذلك يذكر الموت ويرقق القلب وتدمع العين ومعلوم أن المرأة اذا فتح

﴿ بَابُ مَاجَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ (١) ﴾

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

لها هذا الباب أخرجها الى الجزع والندب والنياحة لما فيها من الضعف وقلة الصبر، قال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب : قد كان النبي ﷺ نهى عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال والنساء ثم أذن للرجال فى زيارتها واستمر النهى فى حق النساء اهـ .

أقول ويكون الاذن فى زيارة القبور مخصوصا بالرجال خص بهذا الحديث فيكون من العام المخصوص وقوله : « والمتخذين عليها المساجد ظاهرة أنهم كانوا يجعلونها مساجد يصلون فيها وقيل هو أعم من الصلاة عليها وفيها . وقد أخرج مسلم أن النبي ﷺ قال، لاتجلسوا على القبور ولاتصلوا اليها أو عليها » والسرج جمع سراج أى يوقدون عليها السراج كما يفعله أهل زماننا قال أبو محمد المقدسى لوابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله لأن فيه تضييعا المال فى غير فائدة وافراطا فى تعظيم القبور أشبه تعظيم الاصنام . قال العلامة شمس الدين ابن القيم اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها من الكبائر اهـ والله أعلم .

(١) الجناب هو الجانب والمراد حمايته صلى الله عليه وآله وسلم يقرب منه أو يخالفه من الشرك وأسبابه .

مَا عَنِتُّمْ (١) الآيَةَ .

(١) قال القاضى عياض فى كتابه الشفا فى تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجهة بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولادة أو قرابة ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة مايعنتهم ويضرهم فى دنياهم وأخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم اه المراد منه . وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره: يقول الله تعالى ممتنا على المؤمنين بما أرسل اليهم رسولا من أنفسهم أى من جنسهم وعلى لغتهم كما قال ابراهيم عليه السلام : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) . وقال تعالى :(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) . وقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) . أى منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبى طالب للنجاشى والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى ان الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وامانته الحديث ، وقوله تعالى : (عزيز عليه ماعنتم)أى يعز عليه الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها وبهذا جاء فى الحديث المروى من طرق عنه أنه قال : (بعثت بالحنفية السمحة) وفى الصحيح « أن هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه (حريص عليكم)أى على هدايتكم ووصول النفع الدنيوى والاخروى اليكم . اهـ بمعض تصرف .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ (١). وَعَنْ عَلِيٍّ

---

(١) قوله «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» قال شيخ الاسلام ابن تيمية: أي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة. وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً «اجعلوا صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أيضاً مرفوعاً «لا تجعلوا بيوتكم مقابر فان الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه» وقوله «ولا تجعلوا قبري عيداً» قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد فاذا كان إسما للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدا للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيها عيدا وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالاسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى كما عوض عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر، وقوله: «وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم» يشير بذلك إلى أن ما يبلغني منكم من الصلاة والسلام علي يحصل مع قربكم وبعدكم فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدا تثابون عليه وتترددون إليه لأجل ذلك والله أعلم.

ابْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو فَنَهَاهُ وَقَالَ أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً وَلاَ بُيُوتَكُمْ قُبُوراً فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لَيَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ» رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ ٥ (١)

فيه مسائل. الأولى تفسير آية براءة. الثانية ابعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد. الثالثة ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته. الرابعة نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال. الخامسة نهيه عن الإكثار من الزيارة. السادسة حثه على النافلة فى البيت. السابعة أنه متقرر عندهم أنه لايصلى فى المقبرة. الثامنة تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وأن بعد فلاحاجة إلى مايتوهمه من أراد القرب. التاسعة كونه ﷺ فى البرزخ تعرض أعمال أمته فى الصلاة والسلام عليه.

---

(١) قوله «إلى فرجة» - بضم الفاء وسكون الراء - هى الكوة فى الجدار والخوخة ونحوهما وقوله «فيدخل فيها فيدعو فنهاه» يدل على منع قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها، قال شيخ الاسلام رحمه الله: ماعلمت أحـــدا رخص فيه لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً وأيضا فقصد القبر للسلام غير مشروع لذلك كره مالك لأهل المدينة فكلما دخل الانسان المسجد أن يأتى قبر النبى ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها وكان الصحابة والتابعون رضى

الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون فاذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه فى الصلاة أكمل وأفضل ، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم فى قوله « لاتتخذوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى » فبين أن الصلاة تصل اليه من بعد وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد وكانت الحجرة فى زمانهم يدخل اليها من الباب إذ كانت عائشة رضى الله عنها فيها وبعد ذلك بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لايدخلون عليه لا للسلام ولا للصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنه هو كلمهم وافتاهم وبين لهم الأحاديث أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان فى غيرهم فأضلهم عن قبره وقد غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم فى الظاهر وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم وأن روح الميت تجسدت لهم فرآها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج والمقصود أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف وإنما كان يأتى من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعله قال عبيدالله بن عمر عن نافع كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبتاه ثم ينصرف: قال عبيد الله: ماتعلم أحدا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر اهـ من فتح المجيد ببعض تصرف ، وقوله :

(بَابُ مَاجَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ(١))

وَقَوْلِهِ تَعَالَى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) (٢) وَقَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ

« فى المختارة » ـ هو اسم كتاب فى الحديث جمع فيه مؤلفه ـ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله المقدسى الحافظ ضياء الدين أحد الأعلام ـ الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين . قال الامام الذهبى فى ترجمته أفنى عمره فى هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والاتقان فالله يرحمه ويرضى عنه والله أعلم .

(١) الأوثان جمع وثن يطلق على كل ماقصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله صورة كان أو غير صورة قال صاحب النهاية : وقد يطلق الوثن على غير الصورة ومنه حديث عدى بن حاتم قدمت على النبى ﷺ وفى عنقى صليب من ذهب فقال لى الق هذا الوثن فلذلك أطلقه بعضهم على القبور والمشاهد وغيرها واستدل بقول الخليل عليه السلام : (إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون أفكا) مع قوله : (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) وقوله (أتعبدون ماتنحتون) والله أعلم .

(٢) أما الجبت فيطلق على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك قال الجوهرى فى الصحاح : والطاغوت الشيطان فى صورة انسان يتحاكمون اليه وهو صاحب أمرهم . وقال الامام مالك : هو كل ما يعبد من دون الله عز وجل وبقية الآية وهو قوله تعالى: (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى

مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) (١) وَقَوْلِهِ (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ

من الذين آمنوا سبيلا) قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : أى يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم وكفرهم بكتاب الله الذى بأيديهم . وقد روى ابن أبى حاتم بسنده إلى عكرمة قال : جاء حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد فقالوا ماأنتم ومحمد ؟ نحن نصل الارحام ونذبح الكوماء ونسقى الماء على اللبن ونفك العانى ونسقى الحجيج ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو ؟ فقالوا (أنتم خير وأهدى سبيلا) فأنزل الله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا) الآية .

(١) قال الحافظ ابن كثير أى هل أخبركم بشر من ذلك مثوبة عند الله أى هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا وهم أنتم الذين تتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله من لعنه أى أبعده من رحمته وغضب عليه أى غضبا لايرضى بعده أبدا وجعل منهم القردة والخنازير . وعن ابن مسعود قال : « سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهى مما مسخ الله فقال ان الله لم يهلك قوما أو قال لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولاعقبا وأن القردة والخنازير كانت قبل ذلك » رواه مسلم وهذه الآية جواب لقولهم لم تر أهل دين أقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم والقردة أصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى . وقد روى عن ابن عباس أن الذين مسخوا كلاهما من أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة

عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) (١) .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ

ومشايخهم مسخوا خنازير : وقوله وعبد الطاغوت أى وجعل منهم من عبد الطاغوت أى أطاع الشيطان فيما سول له وقد ورد فيه قراءات كثيرة يرجع معناها إلى أنكم ياأهل الكتاب الطاعنين فى ديننا الذى هو توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة دون ماسواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم جميع ماذكر ولهذا قال فى آخر الآية : (أولئك شر مكانا) أى مما تظنون بنا (وأضل عن سواء السبيل) وهذا من باب إستعمال أفعل التفضيل ليس فى الطرف الآخر مشاركة كقوله عز وجل : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) والله أعلم .

(١) قوله (الذين غلبوا على أمرهم) الذى قال ذلك أصحاب الكلمة والنفوذ فى زمن أصحاب الكهف أى قالوا نتخذ على أصحاب الكهف مسجدا ليعرفوا فقصدهم الناس ويتبركوا فيهم كما يفعله غالب جهال المسلمين الآن وبعض خواصهم وهذا على جهة الذم لهم بدليل قوله ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد يحذر مافعلوا » وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال فى زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدوها عنده فيها شىء من الملاحم وغيرها والله أعلم .

لَدَخَلْتُمُوهُ قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ) (١) أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ

---

(١) قوله « لتتبعن سنن » بفتح السين المهملة أى طريق من كان قبلكم وقوله « حذو القذة بالقذة » بنصب حذو على المصدر والقذة بضم القاف واحدة القذاذ وهو ريش السهم القذة الأخرى فوقع كما أخبر ﷺ وهو علم فى ذلك كما تشبه قذة السهم أى لتتبق طريقهم فى كل مافعلوه وتشبهوهم من أعلام النبوة ، وقوله : « حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وفى حديث آخر « حتى لو كان فيهم من يأتى أمه علانية لكان من أمتى من يفعل ذلك » أراد ﷺ أن أمته لاتدع شيئاً مما كان يفعله اليهود والنصارى إلا فعلته كله لاتترك منه شيئاً ولهذا قال ابن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى ؛ وقوله « قال فمن » استفهام تقرير أى فمن هم غير أولئك ولا يخفى على العاقل أنه لو تتبع أفعال الناس الذين يدعون مسلمين الآن لرأى غالبهم ليسوا على شىء من صفات المسلمين لافى المأكل والمشرب والملبس ولا فى العبادات بل عبادتهم مشوبة بأشياء من أعمال المجوس والمشركين وعوائدهم تشبه عوائد اليهود والنصارى ولا واعظ ولا زاجر يمنعهم من ذلك ويحذرهم عاقبته نسأل الله صلاح الأمة وصلاح قادتها من أمراء وعلماء وأئمة وإلا فعلى الاسلام والمسلمين السلام .

لا يُهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وأن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وإن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) ورواه البرقاني(١) في

---

(١) قوله « زوى لي الأرض » أي جمع يقال زويت الشيء جمعته وقبضته يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب بأن طويت له الأرض وجعلت مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره فأبصر ما تملكه أمته من أقصى مشارق الأرض ومغاربها . وقوله « وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي » قال القرطبي : هذا الخبر وجد مخبره كما قال صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك من دلائل نبوته وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد السند والهند والصغد ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه . قوله « وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض » قال القرطبي : يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورها وبلادها . وقد قال ﷺ « والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم

كان الذهب وبالأبيض عن كنز كسرى لان الغالب عنده كان الجوهر والفضة ووجد ذلك فى خلافة عمر فإن سيق اليه تاج كسرى وحليته وما كان فى بيوت أمواله وجميع ماحوته مملكته على سعتها وعظمتها وكذلك فعل الله بقيصر ، وقوله: (وانى سألت ربى لامتى أن يهلكها بسنة بعامة، هكذا ثبت فى أصل المصنف رحمه الله بعامة بالباء كما قاله صاحب فتح المجيد وهى رواية صحيحة فى صحيح مسلم وفى بعضها بحذفها قال القرطبى : وكانها زيادة لأن عامة صفة السنة والسنة الجدب الذى يكون به الهلاك العام ويسمى الجدب والقحط سنة ويجمع على سنين كما قال تعالى : (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) أى الجـــدب المتوالى ، وقوله: «من سوى أنفسهم » أى من غيرهم من الكفار من هلاك بعضهم بعضا يسبى بعضهم بعضا وقد حصل ذلك ومن أراد تفاصيل ماوقع فعليه بكتب التاريخ لان هنا ليس محل ذكره أسأل الله السلامة والتوفيق وقوله (فيستبيح بيضتهم) قال الجوهرى : بيضة كل شىء حوزته وبيضة القوم ساحتهم وعلى هذا فيكون معنى الحديث أن الله لايسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ماحازوه فى البلاد والأرض ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهى جوانبها . وقوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا) الظاهر أن حتى عاطفة أوتكون لانتهاء الغاية أى أن أمر الأمة ينتهى إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا وقد سلط الله بعضهم على بعض كما هو حاصل وواقع الآن لكثرة اختلافهم وتفرقهم وحبهم المناصب والرياسة وجمعهم المال وعدم الرجوع الى الأمر البين من الدين نسأل الله السلامة وقوله (وان ربى قال يامحمد اذا قضيت قضاءاً فانه لايرد) يعنى اذا حكمت حكما مبرما نافذا فانه لايرد بشىء ولا يقدر أحد على رده كما قال صلى الله

صحيحه وزاد « وإنما أخاف على أمتي الأئمة من المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى) (١) .

عليه وآله وسلم : (ولا راد لما قضيت) والله أعلم .

والبرقاني هو الامام الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد غالب الخوارزمي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وعشرين وأربعمائة قال الخطيب كان ثبتا ورعا لم نر في شيوخنا أثبت منه عارفا بالفقه كثير التصانيف صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه بسنده إلى أبي قلابة .

(١) قوله (وانما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) أراد والله أعلم الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى : (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وكان يقول بعض هؤلاء يقول لأصحابه من كان له حاجة فليأت إلى قبري فاني أقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب ونحو هذا وهذا هو الضلال البعيد يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم وقد قال تعالى : (يدعو من دون الله ما لا يضره

فيه مسائل . الأولى تفسير آية النساء الثانية تفسير آية المائدة (١)

وما ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أكبر من نفعه) الآية قال فى فتح المجيد : ومن هذا الضرب من يدعى أنه يصل مع الله الى حال تسقط عنه التكاليف ويدعى أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم فى حياتهم ومماتهم وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة وأنه يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم أسرار الناس ومافى ضمائرهم ، ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وايقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والافراط والعبادة لغير الله اهـ، وقوله (واذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، وقد وقع ذلك فان السيف لما وقع بقتل عثمان رضى الله عنه وأرضاه لم يرفع وكذلك يكون إلى يوم القيامة لكن قد يكثر تارة ويقل أخرى ويكون فى جهة ويرتفع عن أخرى وقوله « ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين » الحى واحد الأحياء وهى القبائل وفى رواية أبى داود (حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين والمعنى أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الاسلام ولحوقهم بأهل الشرك، وقوله : «حتى تعبد فئام» الخ الفئام هو الجماعات الكثيرة قاله صاحب النهاية وسيفسره المصنف بعد وفى رواية أبى داود « حتى تعد قبائل من أمتى الأوثان »

وقد تقدم لك فيما سبق أن الوثن يطلق على كل ما يتخذ قربة من دون الله ولقد غلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة وطمست الأعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الامر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ولكن لاتزال طائفة من الأمة المحمدية قائمة بالحق لايضرها من خالفها حتى يأتى أمر الله والله أعلم

(١) آية النساء هى قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون

الثالثة تفسير آية الكهف. الرابعة ومن أهمها معنى الايمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها الخامسة قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين. السادسة وهي المقصود بالترجمة أن هذا لابد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد. السابعة التصريح بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة. الثامنة العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار(١) مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه أنه من هذه الأمة وأن الرسول حق وان القرآن حق وفيه أن محمدا خاتم النبيين ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح. وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه قتام كثيرة التاسعة البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة العاشرة الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. إلى شرط الساعة. الحادية عشر أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة الثانية عشر ما فيها من الآيات العظيمة منها اخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال واخباره بانه أعطى الكنزين واخباره باجابة دعوته لامته في الاثنين واخباره بأنه منع الثالثة واخباره بوقوع السيف وانه لا يرفع اذا وقع واخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة واخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول الثالثة عشرة حصرة الخوف على أمته من الأئمة المضلين الرابعة عشرة التنبيه على معنى عبادة الأوثان

بالجبت والطاغوت) وآية المائدة هي قوله تعالى (قل هل أنبئكم) الخ

(١) هو ابن ابي عبيد الثقفي خرج وغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير وأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتتبعهم

(بَابُ مَاجَاءَ فِي السِّحْرِ)(١) وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ

فقتل كثيراً ممن باشر ذلك وأعان عليه فاحبه الناس ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه . وقد ادعى النبوة غيره أيضا من الرجال والنساء ممن ادعى ذلك فى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام كمسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة والأسود العنسى باليمن وفى زمن خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه طليحة بن خويلد فى بنى أسد بن خزيمة وسجاح فى بنى تميم وقتل الأسود قبل أن يتوفى النبى ﷺ ومسيلمة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه قتله وحشى قاتل حمزة يوم أحد وشاركه فى قتله مسيلمة يوم اليمامة رجل من الأنصار وتاب طليحة ومات على الاسلام فى زمن عمر رضى الله عنه ، ونقل أن سجاح تابت أيضا . ومن ادعى النبوة أيضا الحرث الكذاب خرج فى خلافة عبد الملك بن مروان فقتل وخرج فى خلافة بنى العباس جماعة أيضا وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك والله أعلم .

(١) السحر فى اللغة عبارة عما خفى ولطف سببه كما قاله ابن كثير ولهذا جاء فى الحديث إن من البيان لسحراً وسمى السحر سحراً لأنه يقع خفيا آخر الليل . قال أبو محمد المقدسى فى الكافى السحر عزائم ورقى وعقد تؤثر فى القلوب والابدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه. قال الله تعالى : (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه)وقال سبحانه : (ومن شر النفاثات فى العقد) يعنى السواحر اللاتى يعقدون فى سحرهن ويفثن فى عقدهن ولولا أن السحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه وقد روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « ان النبى

مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)(١) وَقَوْلِهِ (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)

ﷺ سحر حتى انه ليخيل اليه أنه يفعل الشيء وما يفعله وانه قال لها ذات يوم أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الأصم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكري في بئر ذروان ، وقد نقلنا أقوال علماء الاسلام في سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قديما وحديثا في تعليقنا على كتاب تجريد التوحيد المفيد للعلامة المقريزي وحققنا أنه لا يمتنع السحر بالنبي ﷺ لأنه ﷺ أنه قال ليخيل اليه فكان غاية هذا فيه ﷺ انما في جسده وظاهر جوارحه لا في عقله وقلبه فهو مرض من الأمراض واصابته به كاصابته بالسم لا فرق بينهما فلا يقدح في مقام النبوة والله أعلم .

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره أي ولقد علم اليهود الذين استبدلوا بالسحر عن متابعة الرسول ﷺ لمن فعل فعلهم ذلك أنه ماله في الآخرة من خلاق قال ابن عباس . ومجاهد . والسدي : من نصيب . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ماله في الآخرة من جهة عند الله . وقال عبد الرزاق : وقال الحسن : ليس له دين . وقال سعد عن قتادة : ماله في الآخرة من خلاق قال ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله اليهم ان الساحر لا خلاق له في الآخرة اهـ وقد نقل ابن هبيرة من كتابه الإشراف على مذاهب الاشراف أقوال العلماء في حقيقة السحر وحكم الساحر وتعلم السحر فقال : اجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فانه قال لا حقيقة له عنده اختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال أبو حنيفة . ومالك .

قال عمر : الْجِبْتُ السِّحْرُ وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ . (١) وقَالَ جَابِرٌ

واحد : يكفر بذلك ومن أصحاب أبي حنيفة من قال إن تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر ومن تعلمه معتقدا جوازه أو أنه ينفعه كفر وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر . وقال الشافعي رحمه الله : إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته فهو كافر . قال ابن هبيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله فقال مالك وأحمد : نعم وقال الشافعي وأبو حنيفة لا فاما أن قتل بسحره انسانا فإنه يقتل عند مالك والشافعي . وأحمد ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين واذا قتل فانه يقتل حدا عندهم إلا الشافعي فانه قال يقتل والحالة هذه قصاصا وهل اذا تاب الساحر تقبل توبته ؟ فقال مالك وأبو حنيفة واحمد في المشهور عنهم : لا تقبل وقال الشافعي واحمد في الرواية الأخرى : تقبل واما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة انه يقتل كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك واحمد . والشافعي : لا يقتل يعني لقصة لبيد بن الأعصم ، واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة انها لا تقتل ولكن تحبس ، وقال الثلاثة : حكمها حكم الرجل والله أعلم .

(فائدة) أنفع ما يستعمل لاذهاب ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم المعوذتان . وفي الحديث « لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما » وكذلك قراءة آية الكرسي فانها مطردة للشيطان

(١) قد تقدم الكلام على الجبت والطاغوت صفحة ٩٠ فارجع اليه .

الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ (١) .

---

(١) هذا الحديث ذكره المصنف هكذا بدون عزو إلى كتاب وهو في الصحيحين . وراه أيضاً أبو داود والنسائي وهاك شرح الفاظه، قوله : « اجتنبوا » أي ابعدوا ومن الاجتناب وهو أبلغ من ابعدوا واحذروا ونحو ذلك نحو قوله تعالى : (ولا تقربوا الزنا) لأن النهي عن القربان أبلغ من النهي عن المباشرة ومنه قوله تعالى. (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ، وقوله : « الموبقات » بموحدة وقاف المهلكات جمع موبقة وسميت كذلك لانها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليه من العقوبات وفي الآخرة من العذاب ، وقوله : « الشرك بالله » أي فأحدها الشرك بالله والشرك جعل أحد شريكا لآخر ، والمراد هنا اتخاذ إله غير الله وقوله : « والسحر » أي الثاني السحر وهو في اللغة صرف الشيء عن وجهه وقد تقدم الكلام عليه مستوفى قريبا وقوله : « وقتل النفس أي الثالث من فعل الموبقات قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق بأن تفعل ما يوجب قتلها كالشرك . والنفس بالنفس والزاني بعد الاحصان والمحرمة نفس المسلم

المعصوم . والمعاهد كما ورد فى الحديث « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة » واختلف العلماء فيمن قتل مؤمناً متعمداً هل له توبة أم لا ؟ فذهب ابن عباس . وأبو هريرة . وغيرهما إلى أنه لاتوبة له استدلالا بقوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) قال ابن عباس نزلت هذه الآية وهى آخر مانزل ومانسخها شىء ، وفى رواية لقد نزلت فى آخر مانزل مانسخها شىء حتى قبض رسول الله ﷺ ومانزل وحى ، ويشهد له مارواه النسائى . وأحمد عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول . « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » . وذهب جمهور الأئمة خلفاً عن سلف إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله تعالى فان تاب وأناب وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات كما قال تعالى : (والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) : وقوله ، « وأكل الربا » أى الرابع أكل الربا وهو فضل مال بلا عوض وهو يشمل جميع أنواعه قال تعالى : (الذين يأكلون الربى لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) الآيات . قال العلامة ابن دقيق العيد : وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك . وقد تكلمنا على مايتعلق بالربا وأحكامه ومذاهب علماء السلف فى تفاصيله وتحقيق الحق من ذلك فى تعليقنا على أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد بما يكفى ويشفى فارجع إليه ، وقوله « وأكل مال اليتيم » أى الخامس أكل مال اليتيم - وهو المنفرد فى اللغة - وهو من مات

وعن جندب مرفوعا « حد الساحر ضربة بالسيف » (١) رواه نحالة الترمذي وقال الصحيح إنه موقوف * وفي صحيح البخاري عن بجالة ابن عبدة قال : « كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث سواحر » (٢) وصح عن حفصة رضي الله عنها

أبوه قبل أن يبلغ . وفي البهائم من ماتت أمه والمراد التعدي فيه وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع كما قال تعالى: (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية ، وقوله : « والتولي يوم الزحف » أي السادس الفرار والأدبار عن الكفار وقت التحام القتال ويكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال كما قيد به في الآية ، وقوله : « وقذف المحصنات الغافلات » أي السابع قذف المحصنات ـ القذف في الأصل ـ الرمي البعيد استعير للشتم والعيب والبهتان . والمحصنات جمع محصنة ـ بفتح الصاد ـ اسم مفعول أي التي أحصنها الله تعالى وحفظها من الزنا . وبكسر الصاد اسم فاعل ـ أي التي حفظت فرجها من الزنا ـ والمراد بهن الحرائر العفيفات والمراد رميهن بزنا أو لواط ، وقوله : « المؤمنات » احترز به عن الكافرات فان قذفهن ليس من الكبائر وإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر لا يوجب الحد وفي قذف الأمة المسلمة التعزير دون الحد والله أعلم *

(١) قوله ضربة روي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح وقد تقدم أقوال العلماء في حكمه عن ابن هبيرة آنفاً فراجعه *

(٢) هذا الأثر رواه البخاري في صحيحه كما قال المصنف رحمه الله

(أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت) (١) وكذلك صح عن جندب قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ (٢) *

فيه مسائل . الأولى تفسير آية البقرة * الثانية تفسير آية النساء الثالثة تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما * الرابعة أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس * الخامسة معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي * السادسة أن الساحر يكفر * السابعة أنه يقتل ولا يستتاب * الثامنة وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده *

تعالى لكن لم يذكر قتل السواحر . وظاهر الحديث أنه يقتل من غير استتابة وهو كذلك على المشهور عن أحمد ، وبه قال مالك لأن علم السحر لا يزول بالتوبة ؛ وعن أحمد يستتاب فان تاب قبلت توبته ؛ وبه قال الشافعي لأن ذنبه لا يزيد عن الشر والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صح ايمان سحرة فرعون وتوبتهم والله أعلم *

(١) هذا الأثر رواه مالك في الموطأ في باب ماجاء في الغيلة والسحر وقال بعد ذكره الساحر الذي يعمل السحر ولم يعمل ذلك له غيره هو مثل الذي قال الله تبارك وتعالى في كتابه : (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه اهـ . وحفصة رضي الله عنها هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه تزوجها رسول الله ﷺ بعد خنيس بن حذافة ماتت سنة خمس وأربعين والله أعلم *

(٢) وهم عمر . وحفصة . وجندب *

(بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ(١))

قَالَ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ) (٢) قَالَ عَوْفٌ : الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ

---

(١) فللسحر أنواع كثيرة أعظمها الأحوال الشيطانية التى غرت كثيرا من العوام والجهال فاغترها كثير من الناس وظنوا أنها تدل على ولاية من جعزت على يده ويعدونها كرامة . وللامام ابن تيمية كتاب سماه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فانه حقق فيه صفات كل منهما واستدل لذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية فطالعه فانه ينفعك إن شاء الله تعالى

(٢) العيافة - بكسر العين - هى زجر الطير والتفاؤل والاعتبار فى ذلك بأسمائها كما يتفاءل بالعقاب على العقاب وبالغراب على الغربة وبالهدهد على الهدى والفرق بينها وبين الطيرة ان الطيرة هى التشاؤم بها وقد تستعمل فى التشاؤم بغير الطير من حيوان وغيره كذا فى المرقاة على المشكاة . وقال ابن الأثير فى النهاية : العيافة زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها - وهو من عادة العرب كثيراً - وهو كثير فى أشعارهم يقال عارف يعيف عيفا إذا زجر وحدس وظن وبنو أسد يذكرون بالعيافة ويوصفون بها قيل عنهم ان قوما من الجن تذاكروا عيافتهم فأتوهم فقالوا ضلت لنـــا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف فقالوا لغلام منهم انطلق معهم فاستردفه أحدهم ثم ساروا فلقيهم عقاب كاسرة احدى جناحيها فانشمر الغلام وبكى فقالوا مالك ؟ فقال كسرت

وَالطَّرْقُ الخَطُّ يُخَطُّ بِالأَرْضِ . وَالجِبْتُ قَالَ الحَسَنُ رَنَّةُ الشَّيْطَانِ

جناحا ورفعت جناحا وحلفت بالله صراحا ما أنت بانسى ولا تبغى لقاجاه .

وعوف هذا - هو ابن أبى جميلة البصرى المعروف بعوف الاعرابى - توفى سنة ست أو سبع وأربعين وله ست وثمانون سنة . والطرق - بفتح الطاء وسكون الراء - هو مافسره به عوف . وقال ابن الأثير: الطرق الضرب بالحصى الذى يفعله النساء وقيل هو الخط فى الرمل اه واقتصر العلامة الزمخشرى فى الفائق على الأول ونقل ابن الأثير تفسير الخط عن ابن عباس قال : قال ابن عباس : الخط هو الذى يخطه الحازى وهو علم قد تركه الناس يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانا فيقول له اقعد حتى أخط لك وبين يدى الحازى غلام له معه ميل ثم يأتى إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين وغلامه يقول للتفاؤل : ابن عيان أسرعا البيان - فان بقى خطان فهما علامة النجح وان خط واحد فهو علامة الخيبة اه أقول : وهو مايسمى فى زماننا بخط الرمل وهو معروف شائع فى هذا العصر يتعيش به كثير من الدجالين وأصحاب الحيل المتكهنين يوهمون الرعاع الجهلة انهم يطلعون على المغيبات وهو فى الحقيقة خداع ومكر وحيل ما أنزل الله بها من سلطان نسأل الله السلامة من ذلك ، والطيرة سيأتى الكلام عليها فى بابها ان شاء الله تعالى والجبت تقدم الكلام عليه . وقوله قال الحسن رنة الشيطان جاء فى تفسير بقى بن مخلد ان ابليس رن أربع رنات . رنة حين لعن . ورنة حين اهبط . ورنة حين ولد رسول الله ﷺ . ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب . وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال : لما لعن الله تعالى إبليس تغيرت

إسناده جيد ، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » رواه أبو داود وإسناده صحيح (٢) ، وللنسائي من حديث أبي هريرة

صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة والرنة الصوت : والله أعلم .

(١) لم يذكر التفسير الذي فسره به عون . ورواه أبو داود بالتفسير المذكور في سننه بدون كلام الحسن تنبه .

(٢) قال الحافظ المنذري : وأخرجه ابن ماجه ورواه أيضاً الامام احمد في مسنده ، وقوله : « من اقتبس » أي أخذ وحصل وتعلم . وقول علماء من النجوم أي من علومها أو مسألة من علمها. وقوله : « شعبة » أي طائفة وقطعة من علم النجوم ومنه الحديث « الحياء شعبة من الايمان » أي جزء منه . وقوله : « فقد اقتبس شعبة من السحر » أي المحرم تعلمه. وقوله : « زاد ما زاد » أي كلما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الاثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه هذا إذا كان اللفظ من كلام الرسول ﷺ ويحتمل أن يكون من كلام الراوي ويكون معناه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم زاد في التقبيح ما زاد إلا أنه احتمال بعيد . قال الخطابي. علم النجوم المنهي عنه هو ما يدل عليه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع كمجيء الأمطار وتغير الأسعار وأما ما يعلم به أوقات الصلاة وجهة القبلة فغير داخل فيما نهي عنه اهـ

« مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ » (١) *

وفى شرح السنة ـ المنهى عنه من علوم النجوم ـ ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التى لم تقع وربما تقع فى مستقبل الزمان مثل أخبارهم بوقت هبوب الرياح ومجىء ماء المطر ووقوع الثلج وظهور الحر والبرد وتغيير الأسعار ونحوها ويزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره كما قال تعالى : (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) فأما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذى يعرف به الزوال وجهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه قال الله تعالى : (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) وقال تعالى : (وبالنجم هم يهتدون) فأخبر الله تعالى ان النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك ولولاها لم يهتد الناس إلى استقبال الكعبة . وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا، والله أعلم *

(١) الحديث رواه النسائى عن أبى هريرة مرفوعاً ورواه أيضاً ابن مردوية، وقوله : « عقد عقدة ثم نفث فيها » العقدة جمعها عقد وهى ما تعقده الساحرة ويقال لها عزيمة أيضا كما قاله الراغب ، وبيان ذلك ان السحرة اذا أرادوا السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى يتم عقد ما يريدون من السحر. والنفث هو النفخ مع الريق وهو دون التفل قال العلامة ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد فى تفسير المعوذتين : فصل الشر الثالث شر الغاسقات فى العقد

وهذا الشر هو شر السحر فان النفاثات فى العقد هن السواحر اللاتى يعقدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد مايريدون من السحر والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما والنفث فعل الساحر فاذا تكيفت بالخبث والشر الذى يريده بالمسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفث فى تلك العقد نفخاً معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك وقد تساعد هو والروح الشيطانية على اذاء المسحور فيقع فيه السحر باذن الله الكونى القدرى لا الأمر الشرعى اه *

وحمل النفاثات فى الآية على من يسعى بالغيبة والنميمة بعيد . وقد ثبت فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى ، ان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يامحمد اشتكيت ؟ فقال : نعم فقال : بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك » ، وقوله : « ومن سحر فقد اشرك » يدل على أن الساحر مشرك وقد حكى الحافظ عن بعض العلماء ان السحر لا يأتى إلا مع الشرك ؛ وقوله : « ومن تعلق شيئاً وكل إليه » أى من تعلق قلبه شيئا حيث يعتمد عليه ويرجوه وكله الله إلى ذلك الشىء فمن تعلقه قلبه بربه وخالقه ومولاه وسيده كفاه ووقاه وحفظه من كل شىء يضره ويؤذيه وتولاه تعالى بنفسه وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير قال الله تعالى : (أليس الله بكاف عبده) . ومن تعلق قلبه بشىء من المخلوقين وكله الله تبارك وتعالى إلى من تعلق به ولا يشك أحد من العباد فى ان من وكل إلى غير الله هلك وخسر وضل ضلال بعيدا فليتنبه أهل عصرنا الذين يدعون الاسلام وينتسبون إليه إلى ذلك ولا يعرجون إلى المقابر والأضرحة ويهرولون إليها إذا أصيبوا بشىء من بلايا الدنيا وليلوذوا بجناب الله تعالى وليلجأ واليه تعالى دون ماسواه *

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) .

---

(١) قوله « ألا أنبئكم ما العضه » ألا أداة تنبيه وأنبئكم أخبركم والعضه قال النووى فى شرح مسلم : هذه اللفظة رووها على وجهين، أحدهما العضه - بكسر العين وفتح الضاد المعجمة - على وزن العدة والزنة . والثانى العضه - بفتح العين واسكان الضاد - على وزن الوجه وهذا الثانى هو الأشهر فى روايات بلادنا - يعنى دمشق - والأشهر فى كتب الحديث وكتب غريبة والأول أشهر فى كتب اللغة . وتقدير الحديث والله أعلم ألا أنبئكم بالعضه الفاحش الغليظ التحريم اه قال العلامة الزمخشرى : أصلها العضه فعلة من العضه وهو من البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة . وأطلق على النميمة عضه لأنها لاتنفك عن الكذب والبهتان غالبا ولذا قال ابن عبد البر عن يحيى بن أبى كثير : يفسد النمام والكذاب فى ساعة مالا يفسد الساحر فى سنة وقد عدها بعض العلماء من السحر . ووجهه انه يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة فأشبه السحر وحكم النميمة التحريم اجماعاً قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة فى غير النصيحة الواجبة اه وهى من الكبائر ، وللامام الشوكانى رسالة سماها رفع الريبة فيما يجوز ومالا يجوز من الغيبة وقد طبعتها ضمن مجموعة الرسائل المنيرية حقق فيهـــا المسألة فارجع إليها فانها تنفعك ان شاء الله تعالى، وقوله: « القالة بين الناس » هى كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس كما قاله صاحب النهاية ، ولايخفى على العاقل اللبيب فساد النميمة وشدة ضررها فانها تجعل الصاحب المخلص عدوا لدود

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » (١)

فيه مسائل . الأولى ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت . الثانية تفسير العيافة والطرق . الثالثة ان علم النجوم من نوع السحر . الرابعة العقد مع النفث من ذلك . الخامسة أن التميمة من ذلك . السادسة أن من ذلك بعض الفصاحة .

والقريب بعيدا والمحب مبغضا لاسيما إذا كانت بين العائلات والأقارب والجيران فان الضرر يزداد والفساد يعظم فليتق الله التمام فى نفســـه وفى أخيه وقومه وعشيرته وليخف الله فى يوم لاينفع فيه مال ولا قوة إلا من أتى الله مخلصا له ولدينه ونبيه وأخوانه المسلمين المؤمنين بقلب سليم .

(١) الحديث أخرجه أيضا أبو داود والترمذى . وقد أورد البخارى سبب قول النبى ﷺ ذلك فى كتاب الطب ولفظه « انه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ : ان من البيان لسحرا وان بعض البيان لسحرا » قال النيسابورى صاحب مجمع الأمثال : قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين وفد عليه عمرو بن الاهتم والزبرقان ابن بدر وقيس بن عاصم فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الاهتم عن الزبرقان ؟ فقال عمرو : مطاع فى ادنيه شديد العارضة مانع لماوراء ظهره فقال الزبرقان : يارسول الله انه ليعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدنى فقال عمرو : أما والله أنه لزمر المروءة ضيق العطن أحمق الوالد لئيم الخال والله يارسول الله ما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى ولكنى رجل رضيت

فقلت احسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما وجدت فقال عليه الصلاة والسلام : ان من البيان لسحرا » يعنى ان بعض البيان يعمل عمل السحر .

ومعنى السحر اظهار الباطل فى صورة الحق . والبيان اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن : وإنما شبه بالسحر لحدة عمله فى سامعه وسرعة قبول القلب له . قال المنذرى : وقد اختلف العلماء فى قوله ﷺ : « ان من البيان لسحرا » فقيل أورده مورد الذم لتشبيهه بعمل السحر لغلبه القلوب وتزيينه القبيح وتقبيحه الحسن وإليه أشار الامام مالك رضى الله عنه فانه ذكر هذا الحديث فى الموطأ فى باب مايكره من الكلام قيل ان معناه أن صاحبه يكسب به من الاثم مايكسبه الساحر بعلمه . وقيل أورده مورد المدح أى أنه تمال به القلوب ويرضى به الساخط ويذل به الصعب ويشهد له أن من الشعر لحكمة اه . وقال أبو عبيد البكرى الأندلسى فى شرح كتاب الأمثال للحافظ أبى عبيد القاسم بن سلام : الناس يتلقون هذا الحديث على أنه فى مدح البيان وادرجوا فى كتبهم هذا التأويل وتلقاه العلماء على غير ذلك وبوب مالك فى الموطأ عليه باب مايكره من الكلام فحمله على الذم وهذا هو الصحيح فى تأويله لأن الله تعالى قد سمى السحر فساداً فى قوله تعالى : (ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين) اه .

أقول وهذا ظاهر صنيع ابى داود لأنه قال بعد ما أورده : كأن المعنى ان يبلغ من بيانه أن يمدح الانسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر فكأنه سحر السامعين بذلك اه . ولاشك ان البيان ينقسم إلى نوعين نوع يجعل الحق فى قالب الباطل والباطل فى قالب الحق فيستميل صاحبه قلوب الجهال حتى يقبلوا الباطل ويشكروا الحق وهذا مذموم لاشك فيه . ونوع يوضح الحق ويقرره ويبطل

(بَابُ مَاجَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ (١))

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ

الباطل وبينه وهذا لاريب فى مدحه وبه جاءت الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه واتباعهم من بعدهم والله أعلم ه

(١) أى هذا باب فيما جاء فى حكم الكهان من الأحاديث . الكاهن قال فى اللسان : الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار وقد كان فى العرب كهنة كشق . وسطيح . وغيرهما فمنهم من كان يزعم ان له تابعاً من الجن يلقى إليه الأخبار ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذى يدعى معرفة الشىء المسروق ومكان الضالة ونحوهما . قال الأزهرى وكانت الكهانة فى العرب قبل مبعث النبى ﷺ فلما بعث نبينا وحرست السماء بالشهب ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة بطل علم الكهانة وأزهق الله أباطيل الكهان بالفرقان الذى فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل وأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ بالوحى على ماشاء من علم الغيوب التى عجز الكهنة عن الإحاطة به فلا كهانة اليوم بحمد الله ومنه وأغنائه بالتنزيل عنها اه . وقد يقع فى هذه الأزمان وقبلها مايخبر به الجن موالیهم من الأنس عن الأشياء الغائبة بما يقع فى الأرض من الأخبار فيظنه الجاهلون وضعفة العقول كشفا وكرامة ، قال فى فتح المجيد : وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن وليا لله وهو من أولياء الشيطان كما قال تعالى: (ويوم نحشرهم جميعاً

(مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً(١)

يا معشر الجن قد استكثر ثم من الإنس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها ﴾ الآية . والله أعـــلم .

(١) العراف هو الذى يستدل على الأمور باسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها وهو من جملة أنواع الكهان وسيأتى بعد فى كلام المصنف قال الخطابى وغيره :العراف هو الذى يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما . وظاهر الحديث أن الوعيد يترتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك فى خبره ، وقوله : « لم تقبل له صلاة » قال النووى فى شرح مسلم معناه انه لا ثواب له فيها كذا قال جمهور أصحابنا ولا بد من هذا التأويل فى الحديث فان العلماء متفقون على أنه لا يلزم من العراف اعادة صلوات اربعين ليله ا ه المقصود منه . ولا يخفى عليك ان هذا فى حق السائل فما يكون حكم المسؤل من الوعيد والزجر ويوجد من هؤلاء طائفة دجالون منتشرون فى الأسواق يلبسون على ضعفاء العقول وجهلة المسلمين يوهمونهم أن لهم اطلاعا على المغيبات ويسلبون الناس أموالهم ظلما ولا زاجر ولا رادع عن ذلك وكان الواجب على العلماء والأمراء أن يأخذوا على أيدى هؤلاء الدجالين ويمنعونهم من البلاد والأسواق لتستريح منهم البلاد والعباد .

قال القرطبى : يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يعلم من يتعاطى شيئا من ذلك من الأسواق وينكر عليهم أشد النكير وعلى من يجىء اليهم ولا يغتر بصدقهم فى بعض الأمور ولا بكثرة من يجىء

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) (مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ) (١)

وَلِأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا وَعَنْ عِمْرَانَ ابْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ

اليهم ممن ينتسب إلى العلم فانهم غير راسخين فى العلم بل من الجهال بما فى أتيانهم من المحذور والله أعلم .

(١) هكذا بيض لاسم الراوى المصنف ولعل المؤلف نقله من كتاب الزواجر لابن حجر لأنه عزا الحديث إلى الاربعة والحاكم ولم يذكر راوى الحديث فذكره المصنف هكذا وبيض له لاجل أن يراجع عن راوى الحديث ويكتبه فاخترمته المنية فبقى بياضا وقد راجعت عليه فى كتاب المستدرك للحاكم فرأيته رواه عن أبى هريرة ورواه الامام أحمد والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعا . وحديث أبى داود مختصر هنا وأصله فى سننه هكذا عن أبى هريرة « أن رسول الله ﷺ قال من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة فى دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » والحديث متكلم فيه . وعلى فرض صحته فهو محمول على استحلال ذلك ليجمع بينه وبين حديث أول الباب . والله أعلم .

لَهُ أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ (١) . وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ دُونَ قَوْلِهِ (وَمَنْ أَتَى) إِلَى آخِرِهِ. قَالَ الْبَغَوِيُّ: الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَقِيلَ هُوَ الْكَاهِنُ وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَقِيلَ الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تَيْمِيَةَ الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ وَقَالَ ابْنُ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير فى تخريج احاديث الرافعى الكبير: روى أنه ﷺ قال: « ليس منا من سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له » الطبرانى من حديث الحسن عن عمران ابن حصين وأبو نعيم من حديث على ابن أبى طالب . والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عباس وفى الأول اسحق بن الربيع ضعفه الفلاس والراوى عنه ايضا لين . وفى حديث ابن عباس زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام وهما ضعيفان . اهـ .

عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَاجَادْ (١) وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ مَا أَرَى مَنْ عَمِلَهُ فِي الْآخِرَةِ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ *

فيه مسائل . الاولى أن لا يجتمع تصديق الكاهن من الايمان بالقرآن الثانية التصريح بانه كفر . الثالثة ذكر من تكهن له . الرابعه ذكر من تطير له . الخامسة ذكر من سحر له . السادسة ذكر من تعلم أبا جاد . السابعة ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

(بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ (٢))

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ وَأَبُو دَاوُدَ وَقَالَ سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ

---

(١) هو حساب الجمل فيقطعون حروف ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت فيجعلون الالف واحد والباء اثنين والجيم ثلاثة والدال اربعة والهاء خمسة إلى نهاية الحرف العاشر ثم يبدؤن بالكاف من كلمن ويجعلونها عشرة واللام عشرين وهكذا الى أن أتم حروف هذه الكلمات .

(٢) قال ابن الأثير في النهاية : النشرة - بالضم - ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أنه به مس من الجن سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء اى يكشف ويزال . وقال الحسن : النشرة من السحر وقد نشرت عنه تنشيرا اهـ

رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ (١) أَوْ يُؤْخَذُ عَنِ امْرَأَتِهِ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ انْتَهَى ٥ وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ لَا يَحُلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ . قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ وَهِيَ نَوْعَانِ حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى

---

(١) قوله «طب» - هو بكسر الطاء - السحر يقال طب الرجل بالضم إذا سحر قال فى النهاية : كنوا بالطب عن السحر تفاؤلا بالبرء كما كنوا بالسليم عن اللديغ اهـ وقوله : «يؤخذ» بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة بعدها ذال معجمة أى يحبس عن امرأته ولا يصل جماعها . والأخذ بضم الهمزة الكلام الذى يقوله الساحر ، وقوله : «أيحل» بضم الياء وفتح الحاء مبنى للمفعول وقوله «او ينشر» بتشديد المعجمة وقوله : «لا بأس به» أى الفعل يعنى أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الإصلاح أى ازالة السحر ولم ينه عما يراد به الإصلاح وقد تقدم الكلام على الرقية الجائزة مما فيه الكفاية فارجع اليه ، ومما يدل على صفة النشرة الجائزة ماروواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبى سليم قال بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى اناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التى فى سورة يونس (فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله) إلى قوله : (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) والله أعلم

الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ . وَالثَّانِي النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ فَهَذَا جَائِزٌ *

فيه مسائل . الأولى النهى عن النشرة * الثانية الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الأشكال *

﴿ بَابُ مَاجَاءَ فِي التَّطَيُّرِ ﴾ (١) وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ

---

(١) هذا باب فى بيان ماجاء فى التطير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الناهية عن التطير والزاجرة عن الطيرة . قال العلامة مجد الدين بن الجزرى فى النهاية : الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هى التشاؤم بالشيء وهو مصدر تطير يقال تطير وتخير خيرة ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر انه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضر اه . قال ابن القيم فى كتابه مفتاح دار السعادة : ومن ذلك هؤلاء أصحاب الطير السانح والبارح والقعيد والنطيح وأصل هذا انهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحا وما تياسر منها سموه بارحاً وما استقبلهم منها فهو الناطح وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح ومنهم من يرى خلاف ذلك . قال المدائنى : سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال ماولاك ميامنه قال . قلت فما البارح؟ قال : ماولاك مياسره والذى يجيء من قدامك فهو الناطح والنطيح والذى يجيء من خلفك

هو القاعد والعقيد اهـ . أقول وهي خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها فمن تبرك بشيء مدحه ومن تشاءم به ذمه ولم تكن العرب قاطبة تعتقد هذا وتقول به فقد ثبت عن بعضهم انكار ذلك فمنهم الرقشي حيث يقول :

ولقد غدوت وكنت لا ... أغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايا ... من والايامن كالاشائم
وكذاك لا خير ولا ... شر على أحد بدائم
لا يمنعنك من بغاء ... الخير تعقاد التمائم
قد خط ذلك في السطور ... الأولي ات القدائم

ويعني بالواق الصرد وبالحاتم الغراب سموه حاتماً لأنه كان عندهم يحتم بالفراق وقال الكميت : وما انا ممن زجر الطير همه ... أطار غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب

ومما كان أهل الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون منه العطاس كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح ، قال رؤبة بن العجاج يصف فلاة :

* قطعتها ولم أهب عطاسا *

وقال امرؤ القيس :

وقد اغتدي قبل العطاس بهيكل ... شديد مشيد الجنب فعم المنطق

أراد أنه كان يتنبه للصيد قبل أن يتنبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا عمراً وشباباً وإذا عطس من يبغضونه قالوا له ريا وقحاباً . والورى كالرى داء يصيب الكبد فيفسدها والقحاب كالسعال وزناً ومعنى . وكانت تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد . وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته في الطيرة حين سئل عنها فقال ذاك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه وهو في الصحيح . وفي خبر آخر إذا تطيرت فلا ترجع . قال العلامة شمس الدين بن القيم : واعلم أن

عِنْدَ اللهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١) ٥

التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئاً لم يضره البتة ولا سيما ان قال عند رؤية مايتطير به أو سماعه اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولاحول ولا قوة إلا بك فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شانها على من اتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها ولا القى إليها باله ولا شغل بها نفسه وفكره . واعلم ان من كان معتنيا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة فى اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه ويتكدد عليه عيشه فاذا سمع سفرجلا أو أهدى إليه تطير به وقال سفر وجلاء وإذا رأى ياسمينا أو سمع اسمه تطير به وقال ياس ومين وإذا رأى سوسنة أو سمعها قال سوء يبقى سنة وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به أو تشاءم بيومه اهـ . فكن أيها العاقل حريصاً على اتباع دينك متأسياً برسولك حافظاً على سير سلفك غير ملتفت إلى عادة الجاهلية ولا موافق إلى الفرق الضلالية واعتقد أن التطير ليس له تأثير ينفع ولا يضر ونسأل الله تعالى أن يوفقنى وإياك إلى هدى الرسول ﷺ فى العقيدة والقول والعمل فى الحركات والسكنات . والله أعلم ٥

(١) قوله « ألا » اداة تنبيه وهو رد لمقالتهم الباطلة وهى قولهم إذا جاءتهم الحسنة لنا هذه وان تصبهم سيئة تطيروا بموسى ومن معه وفسرته

وَقَوْلِهِ (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) (١) الآيَةَ

الحسنة بالخصب والرخاء والسيئة بالجدب والمرض والحاصل أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة أى الخصب والسعة والعافية قالوا لنا هذه أى نحن الجديرون والحقيقيون به ونحن أهله وأن تصبهم سيئة أى بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى واصحابه أصابنا بشؤمهم فقال الله تعالى : (ألا انما طائرهم عندالله) أى ليس شؤمهم إلا عندالله أى من قبله وحكمه كما قال ابن عباس ، وقال الزجاج : المعنى ليس الشؤم الذى واعدوا به من العقاب عنده لاما ينالهم فى الدنيا ، وقوله : ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى بسبب جهلهم ولو فهموا وعقلوا لعلموا أن موسى عليه السلام ما جاء إلا بالخير والبركة والفلاح لمن آمن به وصدق برسالته واتبعه . فسعادة الناس باتباعهم أنبيائهم وشقاوتهم بمنابذة ماجاءوا به وهذا حال كل نبى مع امته وكذلك حال الرعاء الجهال مع علمائهم العاملين نسأل الله التوفيق والهداية لاقوم طريق . والله أعلم .

(١) هذا رد على من كذب الرسل فاصيبوا بالبلاء ولما ضاقت عليهم الحيل وعييت بهم العلل ادعوا أن سبب البلاء جاء من قبل الرسل وبسببهم وهذا ديدن الجهلة حيث يتمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلباً لكل شر ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعاً لكل خير . والمعنى أن طائركم أى سبب شؤمكم معكم لامن قبلنا كما تزعمون وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم ، وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس انه فسر الطائر بنفس الشؤم أى شؤمكم معكم وهو الاقامة على الكفر وأما نحن فلا شؤم معنا لأنا ندعوا إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وفيه غاية اليمن والخير

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ » أَخْرَجَاهُ وَزَادَ مُسْلِمٌ « وَلَا نَوْءَ وَلَا غُولَ » (١)

والبركة ، وعن أبي عبيدة والمبرد طائركم اى حظكم ونصيبكم فى الخير والشر معكم فى أفعالكم ان خيراً فخير وان شراً فشر . ومناسبة ذكر الآيتين فى الترجمة أن التطير من أعمال الجاهلية المشركين وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر انه شرك . والله أعلم

(١) قال فى النهاية العدوى اسم من الأعداء كالرعوى والبقوى من الارعاء والابقاء يقال أعداه الداء يعديه أعداء وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء وذلك أن يكون ببعير جرب مثلا فتتقى مخالطته بابل أخرى حذار أن يتعدى ما به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه وقد أبطله الاسلام لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى فأعلمهم النبى ﷺ انه ليس الأمر كذلك وإنما الله هو الذى يمرض وينزل الداء ولهذا قال فى بعض الأحاديث : « فمن أعدى البعير الأول » أى من أين صار فيه الجرب ، والهامة بتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديده . وقد ذكر لها الامام النووى فى شرح مسلم تأويلين . أحدهما أن العرب كانت تتشاءم بالهامة الطائر المعروف من طير الليل . وقيل هى البومة قالوا كانت إذا سقطت على دار أحدهم يراها ناعية له نفسه أو بعض أهله وهذا تفسير مالك بن أنس ، والثانى أن العرب كانت تعتقد ان عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامة تطير وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور ويجوز أن يكون المراد النوعين فانهما جميعاً باطلان فبين النبى ﷺ ابطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك اهـ ، وقوله

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي

« ولا صفر » هو بفتح الفاء وقد ذكره أيضاً تأويلين . أحدهما المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو المنسأ الذى كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك وأبو عبيدة . والثانى أن الصفر دواب فى البطن وهى هوام وكانوا يعتقدون أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانت العرب تراها أعدى من الجرب وهذا التفسير هو الصحيح ، وبه قال مطرف . وابن وهب . وابن حبيب . وأبو عبيد . وخلائق من العلماء . وقد ذكره مسلم عن جابر ابن عبد الله راوى الحديث فيتعين اعتماده يجوز أن يكون المراد هذا الأول جميعاً وأن الصفرين جميعاً باطلان لا أصل لهما ولا تعريج على واحد منهما وقوله : « ولا نوء » سيأتى الكلام عليه فى بابه إن شاء الله تعالى ، وقوله : « ولا غول » هو بضم الغين المعجمة واحد الغيلان قال فى النهاية : وهو جنس من الجن والشياطين . قال العلامة محيى الدين النووى : قال جمهور العلماء : كانت العرب تزعم أن الغيلان فى الفلوات وهى جنس من الشياطين فتتراءى للناس ، تتغول تغولا أى تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم فابطل النبى ﷺ ذلك ، وقال آخرون : ليس المراد بالحديث نفى وجود الغول وإنما معناه ابطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها قالوا ومعنى لا غول أى لا تستطيع أن تضل أحداً ويشهد له حديث آخر « لا غول ولكن السعالى » قال العلماء : السعالى بالسين المفتوحة والعين المهملتين وهم سحرة الجن أى ولكن فى الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل . وفى الحديث الآخر « إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان » أى ادفعوا شرها بذكر الله تعالى وهذا دليل على انه ليس المراد نفى أصل وجودها . وفى حديث أبى أيوب كان لى ثمرة فى سهوة وكانت الغول تجىء فتأكل منه اهـ .

الفَأْلُ قَالُوا وَمَا الفَأْلُ ؟ قَالَ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ » (١)

وَلأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (٢) قَالَ ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ « أَحْسَنُهَا الفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِماً فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ

---

(١) الفأل كما قال ابن الأثير : مهموز فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر يقال تفاءلت بكذا وتفاءلت على التخفيف والقلب وقد أولع الناس بترك همزة تخفيفاً وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالى ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير ولو غلطوا فى جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر . وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقيع البلاء ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول ياسالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول ياواجد فيقع فى ظنه انه يبرأ من مرضه ويجد ضالته اهـ ،وقوله : « لا عدوى ولا طيرة » قال العلامة ابن القيم : هذا يحتمل أن يكون نفيا وأن يكون نهيا أى لا تطيروا ولكن قوله فى الحديث ولا عدوى ولا صفر ولا هامة بدل على أن المراد النفى وإبطال هذه الأمور التى كانت الجاهلية تعانيها والنفى فى هذا أبلغ من النهى لأن النفى يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهى إنما يدل على المنع منه اهـ والله أعلم .

(٢) هكذا وقع فى جميع النسخ « عقبة بن عامر » وهو غلط صوابه « عروة بن عامر » كذا أخرجه احمد وأبو داود وغيرهما وهو مكى اختلف

مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ ».

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ » (١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ

فى نسبه فقال احمد عن عروة بن عامر القرشى ، وقال غيره الجهنى، واختلف فى صحبته .

(١) قوله « الطيرة شرك » صريح فى تحريم الطيرة وانها من الشرك لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعا وتدفع عنهم ضرا فاذا عملو بموجبها فكأنهم أشركوا بالله فى ذلك ويسمى شركا خفيا ، ومن اعتقد ان شيئا سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد اشرك شركا جليا ، قال القاضى انما سماها شركا لانهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببا مؤثرا فى حصول المكروه وملاحظة الاسباب فى الجملة شرك خفى فكيف اذا انضم اليها جهالة وسوء اعتقاد ، وقوله : « وما منا إلا » أى وما منا أحد إلا من يخطر له من جهة الطيرة شىء ما لتعود النفوس بها فحذف المستثنى كراهة ان يتلفظ به . قال الخطابى : معناه الا من قد يعتريه الطيرة ويسبق الى قلبه الكراهة فيه فحذف اختصارا للكلام واعتمادا على فهم السامع اه وهذه الجملة ليست من قول النبى ﷺ وانما هى من قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه كما قال المصنف بعد رحمه الله تعالى وقال العلامة شمس الدين ابن قيم : وهذه اللفظة ومامنا الى آخر مدرجة فى الحديث ليست من كلام النبى ﷺ كذا قاله بعض

وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ : وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو « مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ قَالُوا فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « إِنَّمَا الطِّيَرَةُ

الحفاظ وهو الصواب بان الطيرة نوع من الشرك كما هو فى أثر مرفوع « من رد الطيرة فقد قارف للشرك » وفى صحيح مسلم من حديث معاوية ابن الحكم السلمى انه قال يارسول الله ومنا أناس يتطيرون فقال ذلك شىء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنه فاخبر ان تأذيه وتشاؤمه بالتطير انما هو فى نفسه وعقيدته لا فى المتطير به فوهمه وخوفه واشراكه هو الذى يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه فأوضح صلى الله عليه وآله وسلم لامته الأمر وبين لهم مراد الطيرة ليعلموا ان الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ولا صيغة سببا لما يخافونه ويحذرونه لتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم الى وحدانيته تعالى التى أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه وخلق لاجلها السموات والارض وعمر الدارين الجنة والنار فسبب التوحيد ومن أجله جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه والنار دار الشرك ولوازمه وموجباته فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقة منها ولا يتلبسوا بعمل من اعمال اهل البتة اه ببعض تصرف ، وقوله . « ولكن الله يذهبه بالتوكل » أى يذهبه الله بسبب الاعتماد عليه والاستناد اليه سبحانه والله أعلم

مَا أَمْضَاكَ أَوْرَدَكَ » (١) .

فيه مسائل . الأولى التنبيه على قوله : (ألا إنما طائرهم عند الله) مع قوله : (طائركم معكم) . الثانية نفي العدوى . الثالثة نفي الطيرة . الرابعة الهامة ، الخامسة نفي الصفر . السادسة أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب . السابعة تفسير الفأل . الثامنة أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله التوكل . التاسعة ذكر ما يقول من وجده . العاشرة التصريح بأن الطيرة شرك الحادية عشرة ... تفسير الطيرة المذمومة .

(بَابُ مَاجَاءَ فِي التَّنْجِيمِ (٢))

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ قَالَ قَتَادَةُ خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ زِينَةً

---

(١) هذا حد الطيرة المنهي عنها لانها ما يحمل الانسان على المضي فيما اراده ويمنعه من المضي فيه كذلك بخلاف الفأل الذي كان يحبه رسول الله ﷺ فان فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف ما يمضيه أو يرده فان للقلب فيه نوع اعتماد وهذا فرق واضح فاحفظه هداك الله .

(٢) قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى : التنجيم هو الاستدلال بالاحوال الفلكية على الحوادث الأرضية . وقال الملا كاتب جلبي في كتابه كشف الظنون . وهو علم يعرف به الاستدلال على حوادث عالم الكون والفساد بالتشكلات الفلكية وهي أوضاع الافلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع الى غير ذلك وهو عند الاطلاق ينقسم الى ثلاثة أقسام حسابيات وطبيعيات ووهميات اه ، وقد تقدم بيان

لِلسَّمَاءِ وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَكَلَّفَ مَالَا عِلْمَ لَهُ بِهِ انْتَهَى (١) : وَكَرِهَ قَتَادَةُ

ما يجوز منه ومالا يجوز عن الخطابى وغيره وتفصيل ذلك فى باب بيان شىء من أنواع السحر فارجع اليه وسيأتى زيادة على ذلك أيضا والله اعلم .

(١) ذكر هذا الاثر البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه معلقا وأخرجه عبد الرازق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم قال فى الشرح : وأخرجه الخطيب فى كتاب النجوم عن قتادة ولفظه قال : « انما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به وان ناسا جهلة بأمر الله قد احدثوا فى هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمرى ما من نجم الا يولد به الأحمر والاسود والطويل والقصير والحسن والدميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشىء من هذا الغيب ولو أن احدا علم الغيب لعلمه آدم الذى خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شىء اه قال الشارح بعد ان ساق ما تقدم فتأمل ما أنكر هذا الامام مما حدث من هذه المنكرات فى عصر التابعين وما زال الشر يزداد فى كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية فى هذه الأعصار وعمت به البلوى فى جميع الامصار فقل ومستكثر وعز فى الناس من ينكره وعظمت المصيبة فى الدين فانا لله وإنا اليه راجعون . وقوله « خلق الله هذه النجوم لثلاث » قال تعالى (ولقد زينا السماء بمصابيح وجعلناها رجوما

تَعَلُّمُ مَنَازِلِ القَمَرِ وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا .
وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ (١) *

للشياطين) أى ولقد زينا السماء الدنيا منكم أى التى هى أتم دنوا منكم من غيرها فدنوها بالنسبة الى ما تحت وأما بالنسبة الى من حول العرش فبالعكس، والمصابيح جمع مصباح وهو الشراح تجوز به عن الكواكب وتنكيرها للتعظيم أى بمصابيح عظيمة ليست كمصابيحكم التى تعرفونها والضمير فى جعلناها للمصابيح لا للسماء الدنيا ، والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به أى يرمى فصار له حكم الأسماء الجامدة ولذا جمع . والمراد بالشياطين مسترقو السمع وقال تعالى : (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) والعلامات الدلالات على الجهات يهتدى بها الناس فى ذلك كما قال الله عز وجل (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى لتعرفوا بها جهة قصدكم وليس المراد يهتدى بها فى علم الغيب كما يزعمه المنجمون ويبطل دعواهم زيادة على ما تقدم قول قتادة فمن تأول فيها غير ذلك أى زعم فيها غير ما ذكر الله فى كتابه من هذه الثلاث فقط أخطاء حيث زعم شيئاً ما أنزل الله به من سلطان واضاع نصيبه من كل خير لأنه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه هدانا الله إلى السنة *

(١) ذكر الخطابى فيما يتعلق بعلم النجوم من حيث القبلة وجهتها فقال أما علم النجوم الذى يدرك من طريق المشاهدة والحد الذى يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه وذلك ان معرفة رصد الظل ليس شيئاً باكثر من أن الظل ما دام متناقصا فالشمس صاعدة

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ الْخَمْرِ وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ وَقَاطِعُ الرَّحِمِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (١) ٭

نحو وسط السماء من الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسيط السماء نحو الأفق الغربي وهذا علم يصح ادراكه بالمشاهدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد ميزوها بما اتخذوها من الآلات التي يستغني الناظر عن مراعاة مدته ومراصدته . وأما ما يستدل به في النجوم على جهة القبلة فانها كواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما اخبروا به عنها مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة أو يشاهدها على حال الغيبة عنها فكان ادراكهم الدلالة منها بالمعاينة وادراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم اه وقد تقدم الكلام في ذلك بابه فارجع إليه هديت والله أعلم ٭

(١) الحديث رواه أيضا الطبراني في معجمه الكبير والحاكم وقال صحيح وأقره الحافظ أبو عبد الله الذهبي رحمه الله تعالى وتمامه « ومن مات وهو يدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة نهر يجري من فروج الموسسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن » وقوله « ثلاثة لا يدخلون الجنة » هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف الصالح رضي الله عنهم تأويلها وقالوا أمروها كما جاءت وهو يرجع إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى فان عذبه فباستحقاقه

(بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ (١))

ذلك وان غفر له فبفضله وعفوه ورحمته . ومعنى قوله مدمن الخمر المداوم على شربها حتى مات ولم يتب وقطع الرحم عدم صلة الأقارب بما يليق بهم فقال تعالى : (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم) وقطع الرحم من الكبائر » وقوله : « وصدق بالسحر» أى بجميع أنواعه ومنه النجوم وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة قال الحافظ أبو عبدالله الذهبى فى كتابه عد الكبائر ويدخل فيه تعلم السيما وعملها وعد المرء عن زوجته وعصيان الزوج لامرأته وبغضها وبغضه واشباه ذلك بكلمات مجهولة قال وكثير من الكبائر بل عامتها إلا الاقل يجهل خلق من الامة تحريمه وما بلغه الوعيد فيه ولا الوعيد عليه اهـ

(١) أى باب فى بيان حكم الاستسقاء بالانواء مستنبطا من الكتاب والسنة ، والاستسقاء طلب السقيا والمراد به هنا نسبة السقيا ومجيء المطر الى الانواء . وهو جمع نوء قال الامام النووى فى شرح مسلم : واما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ ابو عمرو بن الصلاح رحمه الله فقال النوء فى اصله ليس هو نفس الكواكب فانه مصدر ناء النجم ينوء نوءا اى سقط وغاب وقيل أى نهض وطلع ، وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجما معروفة المطالع فى ازمنة السنة كلها وهى المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين يسقط فى كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته وكان أهل الجاهلية اذا كان عند ذلك مطر ينسبونه الى الساقط الغارب منهما . وقال الاصمعى : الى الطالع منهما قال ابو عبيد : ولم اسمع أحدا ينسب النوء للسقوط الا فى هذا الموضع ثم أن

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) (١)

النجم نفسه قد يسمى نوءا تسمية للفاعل بالمصدر . قال ابو اسحق الزجاج في بعض امالیه : الساقطة في المغرب هيَ الانواء والطالعة في المشرق هي البوارخ اه وذكر ابن الاثير في النهاية قريبا من هذا الا انه قال : هي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها اه والله اعلم *

(١) ونظم الآيات القرآنية التي قبلها هكذا (فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسم لو تعلمون عظيم * انه لقرآن كريم * في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون * تنزيل من رب العالمين * افهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اخبر سبحانه بأن الأمر عظيم لا يحتاج الى قسم ما فضلا عن هذا القسم العظيم وهو مواقع النجوم أي مساقط كواكب السماء ومغاربها كما جاء في رواية عن قتادة . والحسن على أن الوقوع بمعنى السقوط والغروب وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على مؤثر دائم لا يتغير ولذا استدل الخليل صلوات الله وسلامه عليه بالافول على وجود الصانع عز وجل . او لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم روى البخاري . ومسلم عن أبي هريرة مرفوعا « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له » . وقال جماعة منهم ابن عباس : النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها روى النسائي . وابن جرير والحاكم وصححه . والبيهقي في الشعب عنه أنه قال : « أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم فرق في السنين » وفي لفظ « ثم نزل من الدنيا

فيه مسائل . الأولى الحكمة فى خلق النجوم . الثانية الرد على من زعم غير ذلك . الثالثة ذكر الحلاف فى تعلم المنازل . الرابعة الوعيد فيمن صدق بشىء من السحر ولو عرف أنه باطل .

إلى الأرض نجوما ثم قرأ (فلا أقسم بمواقع النجوم) ، وايد هذا بان الضمير فى قوله تعالى بعد : (انه لقرآن كريم) يعود حينئذ على مايفهم من مواقع النجوم حتى يكاد يعد كالمذكور صريحا وقوله : (انه لقرآن كريم) تعظيم للقسم مقرر مؤكد له وجواب لواما متروك أريد به نفى علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتوه أو لعملتم بموجبه .

وقوله تعالى : (فى كتاب مكنون) وصف آخر للقرآن أى كائن فى كتاب مصون عن غير المقربين من الملائكة عليهم السلام لا يطلع عليه من سواهم فالمراد به اللوح المحفوظ كما روى عن الربيع بن أنس وغيره وقيل فى كتاب مصون عن التبديل والتغيير وهو المصحف الذى بايدينا وقوله تعالى : (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة بعد صفة لكتاب مراد به اللوح فالمراد بالمطهرون الملائكة عليهم السلام أى المنزهون عن كدر الطبيعة ودنس الحظوظ النفسية . وإما صفة أخرى لقرآن والمراد بالمطهرون المطهرون عن الحدث الأصغر والأكبر بحمل الطهارة على الشرعية ، والمعنى لا ينبغى أن يمس القرآن الامن هو على طهارة من الناس وهو بمعنى النهى نظير قوله تعالى : (الزانى لاينكح إلا زانية) بل هو أبلغ من النهى الصريح وقوله عز وجل : (تنزيل من رب العالمين) صفة أخرى للقرآن اى منزل وقوله جل ذكره : (افبهذا الحديث) أى تعرضون فبهذا الحديث الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لأعظامه واجلاله والايمان بما تضمنه وارشد

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ » (١) *

إليه وهو القرآن الحكيم (أنتم مدهنون) متهاونون به ، وعن ابن عباس . والزجاج مدهنون مكذبون . وعن مجاهد أى منافقون فى التصديق به تقولون للمؤمنين آمنا به وإذا خلوتم إلى اخوانكم قلتم أنا معكم فعلى الاول الخطاب للكفار وعلى الثانى للمنافقين والأول أولى ، وقوله : (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أى شكركم تقولون مطرنا بنجم كذا وكذا وبنوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى وتجعلون شكركم انكم إذا مطرتم تكذبون ومعنى جعل شكرهم التكذيب جعل التكذيب مكان الشكر فكأنه عينه عندهم فهو من باب « تحية بينهم ضرب وجيع » وأكثر الروايات أن قوله تعالى (وتجعلون) الخ نزل فى القائلين مطرنا بنوء كذا من غير تعرض لما قبل ، وأخرج مسلم . وابن المنذر . وابن مردويه عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم - حتى بلغ - وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال العلامة شمس الدين ابن القيم : أى تجعلون حظكم من هذا الرزق الذى به حياتكم التكذيب به يعنى القرآن وبهذا يظهر لك وجه استدلال المؤلف بالآية على ذلك والله أعلم *

(١) كتب فى الشرح على قوله : « اربع فى أمتى من أمر الجاهلية

لا يتركونهن ، الخ ستفعلها هذه الأمة إما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمـــال الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة والمراد بالجاهلية هنا ما قبل البعثة سموا بذلك لفرط جهلهم وكل ما يخالف ما جاء به الرسول ﷺ فهو جاهلية فقد خالفهم رســـول الله ﷺ فى كثير من أمورهم أو أكثرها وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف ذكر فيه ماخالف رسول الله ﷺ أهل الجاهلية فيه فبلغ مائة وعشرين مسألة ، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : اخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا يقتضى أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم فى دين الاسلام والا لم يكن فى اضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ومعلوم أن اضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله تعالى : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) فان فى ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية الأولى وذلك يقتضى المنع فى مشابهتهم فى الجملة ، وقوله : « والفخر بالاحســـاب » أى التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقال تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً) الآية ، ولأبى داود عن أبى هريرة مرفوعا « ان الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ليدعن رجال فخرهم باقوام انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » قوله : « والطعن فى الانساب » أى الوقوع فيها بالعيب والطعن ولما عير ابو ذر رضى الله عنه رجلا بأمه قال النبى ﷺ « أعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية » فدل على أن الطعن فى الانساب من عمل الجاهلية وأن

المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ، قوله « الاستسقاء بالنجوم » أي نسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم كما أخرج الامام احمد بن حنبل عن جابر السوائي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أخاف على أمتي ثلاثا استسقاء بالنجوم وحيف السلطان وتكذيباً بالقدر » فاذا قال قائلهم مطرنا بنجم كذا وبنوء كذا فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر فهذا شرك وكفر وهذا هو الذي يعتقده أهل الجاهلية وإما أن يقول مطرنا بنوء كذا مثلا لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم والصحيح أن نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز ممنوعة . فقد صرح ابن مفلح في الفروع بانه يحرم قول القائل مطرنا بنوء كذا وجزم في الانصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز ولم يذكر أخلافا ، قال في الشرح : وذلك ان القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء فيكون ذلك شركا أصغر ، والنياحة هي رفع الصوت بالندب على الميت ومثله افراط رفعه بالبكاء وأن لم يقترن بندب ولا نوح والنهي عنها لأنها تسخط لقضاء الله تعالى اسمه وذلك ينافي الصبر المأموربه ، وقوله : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها » هي التي ترفع صوتها بالندب على الميت وفيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب مهما عظم وهذا مجمع عليه في الجملة وتكفر أيضا بالحسنات الماضية والمصائب ودعاء المسلمين بعضهم لبعض وبالشفاعة بإذن الله ، وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك به شيئاً ، وعن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعا « ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان ، وقوله : « تقام يوم القيامة وعليها

وَقَالَ ، النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ ، صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ (١) وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ

سربال من قطران ودرع من جرب ، قال الامام القرطبي : السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص يعني أنهن يلطخن بالقطران فيكون لهن كالقمص حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ورائحتهن أنتن وألمها بسبب الجرب أشد ، والقطران - بفتح القاف وكسر الطاء - مايتقطر من الهناء فيدهن به الابل ، وقرىء « من قطرن » أي بكسر أوله وسكون ثانيه وبعد الهمزة - أي من نحاس مذاب قد أنى حرها ، وبه فسره ابن عباس رضي الله عنه ، وقوله : « ودرع من جرب » يعني يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطى بدنها تغطية الدرع وهو القميص لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوي المصيبات ، والله أعلم .

(١) قوله : « صلى لنا » اللام بمعنى الباء أي صلى بنا قال الحافظ ابن حجر

وفيه اطلاق ذلك مجازا وإنما الصلاة لله ، والحديبية قال النووى : فيها لغتان تخفيف الباء وتشديدها والتخفيف هو الصحيح المشهور المختار ـ وهى بضم الحاء المهملة ـ وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله ﷺ أصحابه عندها وبينها وبين مكة مرحلة وبعضها فى الحل وهى أبعد الحل من البيت ، وقوله : « على إثر سماء » هو بكسر الهمزة واسكان الثاء وبفتحهما جميعاً لغتان مشهورتان والسماء المطر لأنه ينزل من السحاب . ويطلق السماء على كل ما ارتفع ، وقوله : « فلما انصرف » أى من صلاته التفت إلى المأمومين فقال : (هل تدرون) الاستفهام للتنبيه وفى النسائى ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة وهذا الحديث يدخل فى الأحاديث القدسية وقوله : « قالوا الله ورسوله أعلم » هذه صفة المؤمن العاقل إذا سئل عما لا يعلم وكل العلم إلى عالمه وما أحسن أدب الصحابة مع نبيهم اللهم ارزقنا الأخلاق المرضية والآداب العالية ، وقوله : « أصبح من عبادى مؤمن » الاضافة هنا للعموم بدليل قوله : مؤمن وكافر وكقوله تعالى : (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال الامام النووى رحمة الله تعالى فى شرح مسلم : وأما معنى الحديث فاختلف العلماء فى كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين . أحدهما هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الايمان مخرج من ملة الاسلام قالوا وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشىء للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ومن اعتقد هذا فلاشك فى كفره ـ وهذا القول هو الذى ذهب إليه جماهير العلماء والشافعى منهم ـ وهو ظاهر الحديث قالوا وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه من الله تعالى ورحمته وإن النوء ميقات له وعلامة اعتباراً بالعادة فكأنه قال مطرنا فى وقت كذا فهذا لا يكفر واختلفوا فى كراهته

بى مؤمن بالكوكب » ولهما من حديث ابن عباس معناه ، وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم) إلى قوله (تكذبون) .

فيه مسائل . الأولى تفسير آية الواقعة . الثانية ذكر الأربع التى من أمر الجاهلية . الثالثة ذكر الكفر فى بعضها . الرابعة أن من الكفر مالا يخرج عن الملة . الخامسة قوله أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بسبب نزول النعمة . السادسة التفطن للايمان فى هذا الموضع . السابعة التفطن

والاظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بصاحبها ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم . والقول الثانى فى أصل تأويل الحديث إن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة فى الباب « أصبح من الناس شاكر وكافر » وفى الرواية الأخرى « ما أنعمت على عبادى من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين » وفى الرواية الأخرى « ما أنزل الله تعالى من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين » فقوله بها : يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم . أقول : مقتضى بيان سبب الكراهة إن الكراهة كراهة تحريم لا تنزيه لأن من قال كلمة مترددة بين الكفر وغيره لا يصح أن يقال لا إثم عليه بل يفتح القائل بذلك باب التساهل والتمادى فى ذلك فالأظهر أنه يأثم بذلك والله أعلم .

للكفر فى هذا الموضع . الثامنة التفطن لقوله اقد صدق نوه كذا وكذا . التاسعة اخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام منها لقوله « اتدرون ماذا قال ربكم » . العاشرة وعيد النائحة .

﴿ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ) (١) ﴾

وَقَوْلِهِ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ (أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) (٢)

---

(١) أخبر الله تعالى ذكره أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخـــذ من دون الله أنداداً فهذا ند فى المحبة لا فى الخلق والربوبية لأن هذا لم يثبته أحد من أهل الأرض بخلاف ند المحبة فان أكثر الناس قد اتخذوا من دون الله انداداً فى الحب والتعظيم ثم قال تباركت اسماؤه : (والذين آمنوا أشد حبا لله) وفى تقدير الآية قولان ، أحدهما والذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الانداد لانداده وآلهتهم التى كانوا يحبونها ويعظمونها من دون الله تعالى ، والثانى والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين بالانداد لله فان محبة المؤمنين خالصـــة ومحبة أصحاب الانداد قد ذهبت انداده بقسط منها والمحبة الخالصة أشد من المشتركة . وقد قيلت فى المحبة رسوم وحدود كثيرة لا يســـع هذا المختصر بسطها والله أعلم .

(٢) قول الله جل وعلا : (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (١) أَخْرَجَاهُ وَلَهُمَا عَنْهُ

وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله) الآية خطاب للنبي ﷺ وأمره عليه السلام بأن يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجرى مجراهم ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا الدنيئة على وجه التوبيخ والترهيب ، وقوله : (وأموال اقترفتموها) أى اكتسبتموها وأصل الاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره ، (وتجارة) أى أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح (تخشون كسادها) بفوات وقت رواجها . (ومساكن ترضونها) أى منازل تعجبكم الاقامة فيها أحب إليكم من الله ورسوله بالحب الاختيارى المستتبع لأثره الذى هو الملازمة وتقديم الطاعة لا ميل الطبع فانه أمر جبلى لا يمكن تركه ولا يؤاخذ عليه ولا يكلف الانسان بالامتناع عنه والله أعلم .

(١) نقل الامام النووى كلام الخطابى فى معنى الحديث قال : قال الامام أبو سليمان الخطابى : لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار لان حب الانسان نفسه طبع ولا سبيل الى قلبه قال : فمعناه لا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك وتؤثر رضاى على هواك وان كان فيه هلاكك هذا كلام الخطابى ، وقال ابن بطال . والقاضى عياض . وغيرهما رحمة الله عليهم : المحبة ثلاثة أقسام محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد . ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الوالد . ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس لجمع ﷺ أصناف

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ » (١) ٥

المحبة فى محبته ، قال ابن بطال رحمه الله : ومعنى الحديث أن من استكمل الايمان علم أن حق النبى ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لانه به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال ، قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته وتمنى حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه قال : وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الايمان لا تتم إلا بذلك ولا يصح الايمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبى ﷺ ومنزلته على قدر كل والد وولد ، ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد ماسواه فليس بمؤمن اهـ والله أعلم ٥

(١) هذا حديث عظيم وأصل من أصول الاسلام ، قال العلماء رحمهم الله تعالى : معنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فى رضا الله عز وجل ورسوله ﷺ وإيثار ذلك على عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسوله ﷺ . ولا تصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة وحب الآدمى فى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكراهة الرجوع الى الكفر إلا لمن قوى بالايمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط لحمه ودمه وهذا هو الذى وجد

حلاوته والحب فى الله من ثمرات حب الله تعالى . اه من كلام القاضى عياض رحمه الله تعالى باختصار ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والانصار فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وعهد ابى بكر . وعمر رضى الله عنهما يؤثر بعضهم بعضاً على نفسه محبة فى الله وتقربا اليه كما قال تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وفى سنن ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « اقدوا أيتنا على عهد رسول الله ﷺ ومامنا أحد يرى انه أحق بدينار ودرهم من اخيه المسلم » قال الامام الورع ابو محمد عبد الله بن أبى جمرة فى كتابه — بهجة النفوس — ظاهر الحديث يدل على أن الايمان على قسمين بحلاوة وبغير حلاوة ومنه قوله عليه السلام: « الايمان إيمانان إيمان لا يدخل صاحبه النار وايمان لا يخلد صاحبه فى النار » فالايمان الذى لا يدخل صاحبه النار هو ما كان بالحلاوة والايمان الذى لا يخلد صاحبه فى النار هو ما كان بغير حلاوة والكلام عليه من وجوه (ونقتصر على ما يتعلق بالموضوع)(الوجه الأول الحلاوة المذكورة هل هى محسوسة أو معنوية فقد اختلف العلماء فى ذلك فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء . وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوا وهم أهل الصفة والصواب معهم فى ذلك والله أعلم لأن ما ذهبوا اليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل وهو أحسن من التأويل ما لم يعارض لظاهر اللفظ معارض ويشهد لما ذهبوا اليه أحوال الصحابة رضى الله عنهم والسلف الصالح وأهل المعاملات لأنه قد حكى عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن جملة ما حكى فى ذلك حديث بلال رضى الله عنه حين صنع به ما صنع فى الرمضاء إكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول : واطرباه

عذاً ألتى الاحبه محمداً وحزبه

فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهى حلاوة الايمان ، ومنها حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له فى ذلك ؟ فقال : ما كنت فيه أكبر من ذلك ولا ذاك إلا للحلاوة التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك . ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبى ﷺ فى بعض مغازيه ليلة يحرسان جيش المسلمين فنام أحدهما وقام الآخر يصلى فاذا الجاسوس من قبل العدو قد أقبل فرآهما فكبد الجاسوس القوس ورمى الصحابى فأصابه فبقى على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال : لولا أنى خفت على المسلمين ما قطعت صلاتى وما ذاك إلا لشدة ما وجد فيها من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجده من ألم السهام ، ومثل هذا ما حكى عن كثير من أهل المعاملات يطول الكلام عليه وفيما ذكرناه كفاية (الى آخر ما ذكره من الوجوه) قال :

فلأجل هذه المناسبة وهذا الاتحاد الذى بين الشجرة والايمان عبر عليه السلام فى الحديث بالحلاوة ولم يعبر بغيرها ليقع المثال فى كل الحالات ، ومنه قوله عليه السلام « الناس كشجر ذات جنا وعوشك أن يعود كشجر ذات شوك » الحديث . فشبههم عليه السلام ايضا بالشجر وهم كذلك لا شك فيه لأن من تقدم من السلف كان إيمانهم كاملا بتتبعهم الأمر والنهى وحبهم لله ورسوله ﷺ والنصيحة التى كانت بينهم حتى لقد كانوا اذا التقى بعضهم مع بعض يقولون تعال نؤمن فكأن شجرة إيمانهم تناهت فى الطيب والحلاوة وأما اليوم فقد ذهب ذلك وظهر ما أخبر به عليه السلام لرجوعهم كشجر ذات شوك لعدم اتباعهم الأمر والنهى وترك النصيحة بينهم والغش الذى

وَفِي رِوَايَةٍ ، لَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى ، إِلَى آخِرِهِ ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ وَأَبْغَضَ فِي اللهِ وَوَالَى فِي اللهِ وَعَادَى فِي اللهِ فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ (١) وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ

فى صدورهم فرجع موضع النصيحة غشا وموضع الامتثال مخالفة فلا يبقى معهم من صفة الايمان فى غالب احوالهم الا النطق بالكلمة وما عداها من الأفعال بضد ما يقتضيه الايمان فبقى لهم الأصل وذهبت ثمرته التى هى الاعمال كما هى شجرة السدر مع شجرة الثمر اذا أبدلت مكانها فالأولى كانت تطعم التمر وله حلاوة والثانية تنبت الشوك هذا هو حال عامتهم اليوم الا هم الا القليل النادر لقوله عليه السلام : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم » فهذه الطائفة التى أخبر بها عليه السلام هى التى لم تزل ثمرة تطعم وتتناهى فى الحـــلاوة فما كان السلف رضى الله عنهم ولولاهم ما أمطرت السماء قطرة ولا أنبتت خضرة ولوقع الهلاك بمن تقدم ذكرهم ولكنه عز وجل يمهلهم لمجاورتهم لأهل الايمان المتحققين إكراما لأوليائه وترفيعا جعلنا الله من أوليائه بمنه وكرمه .

(١) الولاية ــ بفتح الواو لا غير ــ الاخوة والمحبـــة والنصرة ، وبالكسر الانابة والمراد هنا الأول ، وروى احمد . والطبرانى عن النبى ﷺ قال : « لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله فاذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية لله » .

النَّاس عَلَى أَمْر الدُّنْيَا وَذَلِكَ لَا يُجْدِى عَلَى أَهْله شَيْئًا »(١) رواه ابْن جَرِير

وَقَالَ ابْن عَبَّاس فى قَوْله (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) قَالَ الْمَوَدَّةُ (٢).

فيه مسائل . الأولى تفسير آية البقرة . الثانية تفسير آية براءة (٣) الثالثة وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال . الرابعة نفى الايمان لا يدل على الخروج عن الاسلام . الخامسة أن للايمان حلاوة قد تجدها الانسان وقد لا يجدها . السادسة أعمال القلب الاربع التى لا تنال ولاية الله الا بها ولا يجد أحد طعم الايمان الا بها . السابعة فهم الصحابى للواقع أن

---

(١) أنظر ياأخى — حماك الله وإياك مخالفة الشرع الشريف واتباع الهوى والنفس الخبيثة — الى قول ابن عباس رضى الله عنه وهو فى عصر الصحابة والقرن الأول المشهود له بالأخيرية وقارن بينه وبين عصرنا هذا الفاسد أهله فلقد وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق والعصيان ، وقد وقع كل ما أخبر به الرسول ﷺ بقوله: « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فنسأل الله السلامة فى ديننا وأهلنا أنه بعباده رءوف رحيم ».

(٢) روى هذا الأثر عبد بن حميد . وابن جرير الطبرى . وابن المنذر . وابن أبى حاتم . والحاكم وصححه ، والمودة أى التى كانت بينهم فى الدنيا خانتهم أحوج ما كانوا اليها وتبرأ بعضهم من بعض كما قال الله عز وجل فى كتابه : (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) الآية .

(٣) قوله: « الثانية » هى التى ذكرت فى قوله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) الى قوله : (مساكن ترضونها) . والله أعلم .

عامة مؤاخات الناس على أمر الدنيا . الثامنة تفسير وتقطعت بهم الأسباب التاسعة أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً . العاشرة الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه عنده من دينه . الحادية عشرة أن من اتخـــذ ندا تساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر ٭

﴿ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١) ، وَقَوْلِهِ (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ

---

(١) قوله : (إنما ذلكم الشيطان) الخطاب للمؤمنين واسم الاشارة إلى المثبط والشيطان ابليس لأنه علم له . والمراد بالأولياء أبو سفيان وأصحابه أو المتخلفون عن رسول الله ﷺ والمعنى على الأول أن يخوفكم أولياءه بان يعظمهم فى قلوبكم . وعلى الثانى أن يوقعهم فى الخوف أو يخوفهم من أبى سفيان وأصحابه . (فلا تخافوهم) أى فلا تخافوا أولياءه الذين خوفكم اياهم (وخافون) فى مخالفة أمرى ان كنتم مؤمنين لان الايمان يقتضى أن تؤثروا خوف الله تعالى على خوف الناس ، قال ابن قيم رحمه الله : الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا الله كالذل والانابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب ٭

والخوف عرفه الامام الجنيد أبو القاسم هو توقع العقوبة على مجارى الانفاس ، قال الامام شمس الدين فى مدارج السالكين فى منزلة الخوف : وهى من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب وهى فرض على كل أحد قال الله تعالى : (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وقال تعالى : (فاياى فارهبون) وقال تعالى : (ولاتخشوا الناس واخشون) وقال : الخوف المحمود

مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ(١))

الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فاذا تجـــاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط ، قال فى الشرح : والخوف من حيث هو على ثلاثة أقســام ، أحدها خوف السر وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام انهم قالوا له : (أن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه) الآية وقال تعالى : (ويخوفونك بالذين من دونه) وهـذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الاوثان يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنـكروا عبادتها وأمروا باخلاص العبادة لله وهذا ينافى التوحيد ، الثانى أن يترك الانسان ما يجب عليه خوفا من بعض الناس فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافى لـكمال التوحيد ، وهذا هو سبب نزول هذه الآية كما قال تعالى : (الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لـكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) الآيات ، وفى الحديث « ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذا رأيت المنـكر أن لا تغيره فيقول رب خشية الناس فيقول اياى كنت احق أن تخشى » الثالث الخوف الطبيعى وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك فهذا لايذم كما قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام : (فخرج منها خائفاً يترقب) الآية انتهى .

(١) أى انما يليق بعمارة مساجد الله سبحانه وتعالى من آمن بالله واليوم الآخر على الوجه الذى نطق به الوحى وأقام الصلاة أى داوم عليها مستوفية لأركانها وسننها على منهج الرسول ﷺ وأصحابه المصطفين الاخيار وآتى

الآيَةَ) وَقَوْله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ) (١) الآيَةَ ٠

الزكاة أى أخرجها واعطاها مستحقها من الأصناف الثمانية، والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وكنسها وتنظيفها وتزيينها بالفرش لا على وجه يشغل قلب المصلى عن الحضور كما هى غالب المساجد الآن , وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له فى نظر الشارع كحديث الدنيا والغناء على مآذنها كما هو معتاد الناس اليوم والأذكار غير المشروعة ورفع الأصوات فيها يفعل ذلك ولا يخشى أحدا الا الله تعالى فيعمل بموجب أمره ونهيه غير آخذ له فى الله لومة لائم ولا مانع له خوف ظالم والله أعلم ٠

(١) قوله ومن الناس أى بعض للناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله أى لأجله جل وعلا أو فى سبيله بأن عذبهم المشركون على الايمان به كما حصل فى مبدأ النبوة جعل فتنة الناس أى نزلوا ما يصيبهم من أذيتهم كعذاب الله فى الآخرة فجزعوا من ذلك ولم يصبروا وأطاعوا الناس وكفروا بالله تعالى كما يطيع الله تعالى من يخاف عذابه سبحانه فيؤمن به ولئن جاء نصر من ربك من فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم مشايعين لكم فى الدين فاشركونا فيما حصل من الغنيمه أو مقاتلين معكم ناصرين لكم فرد الله عليه ذلك بقوله (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) أى لا يخفى عليه حالهم فيعلم بما فى صدور العالمين من الأخلاق والنفاق . ومتى كان الرب تبارك وتعالى كذلك فلا يليق بحال الانسان ان يخاف غيره نسأل الله الصدق والاخلاص فى العبادة لله وحده لا شريك له ٠

وَعَنْ أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً « إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِين أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله وأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ « مَنِ الْتَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ الله سَخِطَ الله عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ » رَوَاهُ

---

(١) الحديث لم يبين المؤلف من خرجه وهو مذكور فى الحلية لأبى نعيم ورواه البيهقى أيضا واعله بمحمد بن مروان السدى وقال ضعيف ، وفيه أيضا عطية العوفى ذكره الذهبي فى الضعفاء والمتروكين ، وتمامه « وان الله بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط » ومعنى الحديث صحيح . وارضاء الناس بسخط الله هو أن تؤثر رضاهم على رضى الله وذلك اذا لم يقم بقلبه من اعظام الله واجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذى يتصرف فى القلوب ويفرج الكروب ويغفر ما شاء من الذنوب ، ولاشك أن هذا يدخل فى أنواع الشرك نسأل الله السلامة .

ابْنُ حبَّانَ فِى صَحيحِهِ (١) ٭

فيه مسائل . الاولى تفسير آية آل عمران . الثانية تفسير آية براءة . الثالثة تفسير آية العنكبوت . الرابعة أن اليقين يضعف ويقوى الخامسة علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث . السادسة أن اخلاص الخوف لله من الفرائض . السابعة ذكر ثواب من فعله . الثامنة ذكر عقاب من تركه ٭

﴿ بَابُ مَاجَاءَ فى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴾ ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا (٢) إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الآيَةَ

---

(١) الحديث رواه أيضا الترمذى بلفظ قريب من هذا ، ورواه أبو نعيم أيضـــا واعلم أن خير الناس من ارضى الله بسخط الناس فعليك يا أخى بمجاهدة نفسك وكفها عن غيبها لأن من اتقى الله كفاه مؤنة الناس وكان فى حرز منيع قال الله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ومن ارضى الناس بسخط الله فلم يغنوا عنه من الله شيئاً. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب أن هذا لشىء عجاب ، والله أعـــلم ٭

(٢) التوكل الاعتماد وهو من أعمال القلب وتقديم المعمول يفيد الحصر والمعنى ان كنتم مؤمنين فلا تعتمدوا إلا على الله وحده ، ومن هذه الجهة استدل المصنف بأن التوكل فريضة يجب اخلاصه لله وحده لاشريك له فالتوكل أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة الخالصة فان العبد إذا اعتمد على الله فى جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صح اخلاصه ومعاملته مع الله تعالى ٭

والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً ، قال الامام شمس الدين بن قيم فى كتابه ـ مدارج السالكين ـ : التوكل نصف الدين و نصفه الثانى الانابة فان الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والانابة هى العباده ، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ووقوعه ومن المؤمنين والكفار والابرار والفجار والطير والوحش والبهائم ، فأهل السموات والارض ـ المكلفون وغيرهم ـ فى مقام التوكل وأن تباين متعلق توكلهم فألياؤه وخاصته يتوكلون عليه فى حصول مايرضيه منهم وفى اقامته فى الخلق فيتوكلون عليه فى الايمان ونصرة دينه وأعلاء كلمته وجهاد أعدائه وفى محابه وتنفيذ أوامره ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى استقامته فى نفسه وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى معلوم يناله منه من رزق أوعافية أونصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى حصول الاثم والفواحش فان أصحاب هذه المطالب لاينالونها غالبا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه بل قد يكون توكلهم عليه أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات ، ولهذا يلقون أنفسهم فى المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم ، فافضل التوكل فى الواجب ـ أعنى واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس ـ واسعه وانفعه التوكل فى التأثير فى الخارج فى مصلحة دينية أو فى دفع مفسدة دينية وهو توكل الانبياء فى اقامة دين الله ودفع فساد المفسدين فى الأرض ، وهـــذا توكل ورثتهم ثم الناس بعد فى التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم .

واختلف العلماء ارباب القلوب الحية فى معنى التوكل فذهبوا مسلكين ،

الأول الى أن التوكل مفرد، وقال العلامة أبو عبدالله الشهير بابن قيم الجوزية: قال الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه: التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو فى باب العلوم والإدراكات، ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول هو علم القلب بكفاية الرب للعبد، ومنهم من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب فيقول. التوكل هو انطراح القلب بين يدى الرب كانطراح الميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجارى الأقدار، قال سهل: التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد، ومنهم من يفسره بالرضا فيقول هو الرضا بالمقدور، قال بشر الحافى يقول احدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله رضى بما يفعل الله، وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا؟ فقال: إذا رضى بالله وكيلا، ومنهم من يفسره بالثقة بالله والطمأنينة اليه والسكون اليه، ومنهم من جعله اسما مركبا من أمر بن أرأمور قال أبو سعيد الخدرى: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، وقال ابو تراب النخشبى: هو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة الى الكفاية فان أعطى شكر وان منع صبر فجعله مركبا من خمسة امور، وأجمع القوم على ان التوكل لا ينافى القيام بالأسباب فلا يصح التوكل الامع القيام بها والا فهو بطالة وتوكل فاسد، قال سهل ابن عبدالله: من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان، فالتوكل حال النبى ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته، فترك الأسباب المأمور بها قادح فى التوكل، وقد تولى الحق ايصال العبد بها واما ترك الأسباب المباحة فان تركها لما هو أرجح منها مصلحة فممدوح والا فهو مذموم والله أعلم *

وَقَوْله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ (١) قُلُوبُهُمْ) الآيَةَ وَقَوْله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ (٢) اللهُ) الآيَةَ ، وَقَوْله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

قَالَ ابْن عَبَّاس قَالَ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّار وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : ومارجا أحد مخلوقا ولا توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه مشرك (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) ، وقال شارح الأصل : قلت لكن التوكل على الله قسمان ، أحدهما التوكل فى الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت فى رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة فهذا شرك أكبر ، الثانى التوكل فى الأسباب الظاهرة كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما اقدره الله تعالى عليه من رزق أو دفع اذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر ، والوكالة جائزة هى توكيل الانسان فى فعل مايقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد عليه فى حصول ماوكل فيه بل يتوكل على الله فى تيسير أمره الذى يطلبه بنفسه أو نائبه وذلك من جملة الأسباب التى يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذى أوجد السبب والمسبب .

(١) وجلت خافت لأنه من الوجل وهو الخوف . (٢) أى كافيك الله

لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً) الآيَةَ رَوَاهُ البُخَارِيُّ والنَّسَائِيُّ *

فيه مسائل . الأولى أن التوكل من الفرائض . الثانية أنه من شروط الايمان . الثالثة تفسير آية الانفال (١) . الرابعة تفسير الآية فى آخرها . الخامسة تفسير آية الطلاق . السادسة عظم شأن هذه الكلمة السابعة وانها قول ابراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ فى الشدائد *

(بَابُ مَا جَاءَ فِى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى) (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ(٢) اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ) وَقَوْلِهِ (وَمَنْ يَقْنَطُ(٣) مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) *

---

(١) يريد قوله تعالى : (وعلى ربهم يتوكلون) *

(٢) قال صاحب النهاية : مكر الله ايقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه ، وقيل : هو استدراج العبد بالطاعات فيتوبتهم أنها مقبولة وهى مردودة اهـ يعنى أن الله تبارك وتعالى يسبغ على العبد نعمة على عصيانه وكفره ثم يأخذه بغتة وهو لا يشعر ، أراد المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب ، اذ ينافى كمال التوحيد كما أن القنوط من رحمة الله كذلك وهدا يرشد إلى أن المؤمن يسير الى الله بين الخوف والرجاء كما يدل على ذلك كتاب الله الحكيم وسنة من بالمؤمنين رءوف رحيم *

(٣) القنوط استبعاد الفرج واليأس منه وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم ، وأورد المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية مع التى قبلها تنبيها على انه لا يجوز لمن خاف الله تعالى أن يقنط من رحمته

وَعَن ابْن عَبَّاس أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَن الكَبَائِر قَالَ : « الشِّرْكُ بالله والَيأس منْ رَوْح (١) الله وَالأمْنُ منْ مكر الله » (٢) *

وَعَن ابْن مَسْعُود قَالَ أكبرُ الكبَائر (٣) فقال الشركُ بالله وَالأمْنُ من مكْر الله وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَة اللهِ واليَأسُ منْ رَوْح اللهِ . رَوَاهُ عبد الرازق (٤) *

فيه مسائل . الأول تفسير آية الأعراف . الثانية تفسير آية الحجر الثالثة شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله . الرابعة شدة الوعيد فى القنوط *

بل يكون دائما خائفا راجيا يخاف ماوقع منه من الذنوب والمعاصى ويرجو رحمة ربه ويعمل بطاعته *

(١) بفتح الراء الرحمة *

(٢) هذا الحديث رواه البزار وابن أبى حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات الأشيب ، والأشبه أن يكون موقوفا قال ابن قيم الجوزيه رحمه الله : الشرك بالله هضم الربوبية وتنقص الألهية وسوء ظن برب العالمين *

(٣) الكبيرة كل ذنب ختم فى كتاب الله أو سنة رسوله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب زاد ابن تيمية أو نفى الايمان *

(٤) قال الشارح ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح *

(بَابٌ مِنَ الايمَان بالله الصَّبْرُ عَلَى أقْدَارِ الله (١)) وَقَوْلُهُ تَعَالَى

---

(١) الصبر فى اللغة الحبس والكف ومنه قتل فلان صبراً اى إذا امسك وحبس ، ومنه قوله تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) أى احبس نفسك معهم فاصبر حبس النفس من الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى . وحبس الجوارح عن التشويش ، وهو ثلاثة أنواع . صبر على طاعة الله . وصبر عن معصية الله . وصبر على امتحان الله فالاولان صبر على مايتعلق بالكسب والثالث صبر على مالا كسب للعبد فيه ، وقال صاحب منازل السائرين : الصبر حبس النفس على المكروه . وعقل اللسان عن الشكوى وهو من أصعب المنازل على العامة وأوحشها فى طريق المحبة وانكرها فى طريق التوحيد اهـ وهو واجب باجماع الأمة ، قال الامام أحمد بن حنبل : ذكر الله تعالى الصبر فى القرآن فى نحو تسعين موضعاً ، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس فى الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له كما أن لاجسد لمن لا رأس له ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : خير عيش ادركناه بالصبر ، وفى الحديث الصحيح « الصبر ضياء » رواه الامام احمد . ومسلم ، وللبخارى ومسلم مرفوعا « ما أعطى أحد عطاء خيراً من الصبر وأوسع من الصبر » ، وفى الحديث الصحيح « عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن أن اصابته سراء شكر فكان خيراً له وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وأمر رسول الله ﷺ الانصار بان يصبروا على الأثرة التى يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض ، وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر ، وأمر بالصبر عند المصيبة واخبر

(وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) (١) ٥

انه انما يكون عند الصدمة الأولى ، وأمر المصاب بانفع الأمور له وهو الصبر والاحتساب فان ذلك يخفف مصيبته ويوفر أجره والجزع والتسخط والتشكى يزيد فى المصيبة ويذهب الأجر ، واخبر أن الصبر خير كله كما تقدم ، والشكوى إلى الله عز وجل لا تنافى الصبر فان يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل والنبى ﷺ إذا وعد لايخلف ثم قال : (انما اشكو بثى وحزنى إلى الله) وكذلك أيوب اخبر الله عنه انه وجده صابراً مع قوله (مسنى الضر وانت أرحم الراحمين) وانما ينافى الصبر شكوى الله لا الشكوى إليه كما رأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فاقه وضرورة فقال : يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم انشد ٥

وإذا عرتك بليلة فاصبر لها ... صبر الكريم فانه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم انما ... تشكو الرحيم الى الذى لايرحم

افاد ذلك شمس الدين بن القيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين بتصرف

(١) نظم الآية هكذا (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء علىم) قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره يقول تعالى مخبراً بما اخبر به فى سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) وهكذا قال ههنا ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، قال ابن عباس : بأمر الله يعنى عن قدره ومشيئته ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه) أى ومن اصابته مصيبة فعلم انها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى فى قلبه و يقيناً صادقاً وقد خلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه اهـ ٥

قَالَ عَلْقَمَةُ هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ (١) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ » ، وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (٢) » ، وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ

---

(١) هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وعلقمة هـذا هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي ﷺ .

(٢) ضرب الخدود لطمها جزعا على الميت وخص الخد بذلك لكونه الغالب في ذلك والا فضرب بقية الوجه داخل في ذلك ، والجيوب جمع جيب وهو ما يدخل فيه الرأس من الثوب ، وشقها تمزيق الثوب جزعا على الميت ، « ودعوى الجاهلية » قال شيخ الإسلام عليه سحائب الرضوان : هو ندب الميت ، وقال غيره : هو الدعاء بالويل والثبور ، وقال شمس الدين ابن قيم الجوزية : الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ وتفضيل بعض على بعض يدعو إلى ذلك ويدعى عليه وينادى فكل هذا من دعوى الجاهلية . قال الحافظ أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر في الفتح : قوله : « ليس منا »

ﷺ قَالَ « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا

أى من أهل سنتنا وطريقتنا وليس المراد به اخراجه عن الدين ولكن فائدة ايراده بهذا اللفظ المبالغة فى الردع عن الوقوع فى مثل ذلك كما يقول الرجل لولده عند معاتبته : لست منك ولست منى أى ما انت على طريقتى ، وقال الزين بن المنير ماملخصه : التأويل الاول يستلزم أن يكون الخبر انما ورد على أمر وجودى وهذا يصان كلام الشارع عن الحمل عليه والاولى أن يقال المراد ان الواقع فى ذلك يكون وقد تعرض لأن يهجر ويعرض عنه فلا يخالط بجماعة السنة تأديباً له على استصحابه حالة الجاهلية التى قبحها الإسلام فهذا أولى من الحمل على مالا يستفاد منه قدر زائد على الفعل الموجود ، وحكى عن سفيان انه كان يكره الخوض فى تأويله ويقول : ينبغى أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع فى النفوس وابلغ فى الزجر ، وقيل : المعنى ليس على ديننا الكامل أى انه خرج من فرع من فروع الدين وان كان معه أصله حكاه ابن العربى ، ويظهر لى أن هذا النفى يفسره التبرى الآتى فى حديث ابو موسى بعد باب حيث قال : برىء منه النبى ﷺ ، وأصل البراءة الانفصال من الشىء وكأنه توعده بأن لايدخله فى شفاعته مثلا ، وقال المهلب قوله : « أنا برىء » أى من فاعل ما ذكر وقت ذلك الفعل ولم يرد نفيه عن الإسلام ﴿ قلت ﴾ بينهما واسطة تعرف مما تقدم أول الكلام وهذا يدل على تحريم ما ذكر من شق الجيب وغيره وكان السبب فى ذلك ما تضمنه ذلك من عدم الرضا بالقضاء فان وقع التصريح بالاستحلال مع العلم بالتحريم أو التسخط مثلا مما وقع فلا مانع من حمل النفى على الاخراج من الدين اهـ

أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ (١) »
وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى
إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ »
رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح »

فيه مسائل . الأولى تفسير آية التغابن . الثانية أن هذا من الايمان بالله.
الثالثة الطعن فى النسب . الرابعة شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق
الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . الخامسة علامة ارادة الله بعبده الخير .
السادسة ارادة الله به الشر . السابعة علامة حب الله للعبد . الثامنة تحريم
السخط . التاسعة ثواب الرضى بالبلاء »

---

(١) رواه هذا الحديث الترمذى وحسنه والحاكم ، وقوله « يوافى » هو
بضم الياء المثناة من تحت آخر الحروف وكسر الفاء ـ اى يجىء بها ولما روى
الترمذى هذا الحديث وما بعده باسناد واحد وصحابى واحد جعلهما المصنف
كالحديث الواحد ، ومعنى عجل له بالعقوبة فى الدنيا أى صب عليه المصائب
والبلاء لما فرط من الذنوب منه فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافى به يوم
القيامة ، فالمصائب نعمة لأنها تكفر الذنوب وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها
وتقتضى الانابة إلى الله والذل له والاعراض عن الخلق إلى غير ذلك من
المصالح العظيمة »

(بَابُ مَا جَاءَ فِى الرِّيَاءِ (١)) وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ) الآيَةَ (٢) ٥

(١) أى هذا باب فى بيان ماجاء فى الرياء من القرآن والسنة والرياء - بكسر أوله وبالمد - ترك الاخلاص فى العمل بملاحظة غير الله تعالى فيه وحده فعل الخير لإرادة الغير ، والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء يكون فى الفعل كالصلاة والسمعة تكون فى القول كالقراءة والوعظ والذكر وهو مشتق من الرؤية

(٢) ونظم الآية هكذا (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ومعنى الآية والله أعلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين رسالتك إليهم : انما أنا بشر مثلكم فمن زعم انى كاذب فليأت بمثل ما جئت به فانى لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضى عما سالتم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق فى نفس الأمر لولا ما اطلعنى الله عليه وانما أخبركم إنما إلهكم الذى أدعوكم إلى عبادته إله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه أى ثوابه وجزاءه الصالح فليعمل عملا صالحاً وهو ما كان موافقاً لشرع الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وهو الذى يراد به وجه الله جل وعز وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل لابد أن يكون خالصاً صواباً على شريعة رسول الله ﷺ ، روى ابن أبى حاتم بسنده عن طاوس قال قال رجل يارسول الله انى اقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ٥

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم(١) . وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قلنا بلى قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه أحمد (٢) »

---

(١) هذا حديث قدسي قال النووي في شرح مسلم : هكذا وقع في بعض الأصول « وشركه » وفي بعضها « وشريكه » وفي بعضها « وشركته » ومعناه أنا أغنى عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري لم اقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به اهـ ولابن ماجه « فأنا منه بريء وهو للذي أشرك » قال العلامة الطيبي : الضمير المنصوب في قوله تركته يجوز أن يرجع إلى العمل »

(٢) قوله « اخوف » اسم تفضيل من خيف مبنياً للمفعول على خلاف القياس والمعنى إني أخاف عليكم من الرياء أكثر مما أخاف عليكم من فتنة المسيح الدجال ، وسمي هذا العمل شركا خفيا لأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد به غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله »

قال الامام شمس الدين بن قيم الجوزية : وأما الشرك الأصغر فيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت . وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك ومالي إلا الله وأنت . وأنا

فيه مسائل . الأولى تفسير آية الكهف . الثانية هذا الأمر العظيم فى رد العمل الصالح إذا دخل فيه شيء لغير الله . الثالثة ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى . الرابعة أن من الأسباب أنه خير الشركاء . الخامسة خوف النبي ﷺ على اصحابه من الرياء . السادسة أنه فسر ذلك أن المرء يصلى لله لكن يزينها لما يرى من نظر الرجل *

(بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الانْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا (١)) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) الآيَتَيْنِ (٢) وَفِى

متوكل على الله وعليك . ولولا الله أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده اه قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : (ليبلوكم ايكم أحسن عملا) قال اخلصه وأصوبه قيل يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال أن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً فالخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة والله أعلم *

(١) أى هذا باب فى بيان ما ورد أن من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا ، وأراد المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافى كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال وهو أعظم من الرياء لأن مريد الدنيا قد تغلب ارادته تلك على كثير من عمله وأما الرياء فقد يعرض له فى عمل دون عمل ولا يسترسل معه والمؤمن يكون حذرا من هذا وهذا ، افاده الشارح *

(٢) تمام الآية الأولى (وهم فيها لا يبخسون) والآية الثانية بعدها

الصَّحيح عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « تعس عبد الدِّينَارِ تعس عَبْدُ الدِّرْهَمِ تعس عَبْدُ الخَمِيصَة تعس عَبْدُ الخَمِيلَة إنْ أعْطَى رَضِيَ وَإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تعس وَانْتَكَسَ وَإذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ طُوبَى لعَبْد أخَذَ بعنَان فَرَسه فى سَبيل الله أشْعَثَ رَأسُهُ مُغْبَرَّةً قَدَمَاهُ انْ كَانَ فى الحَرَاسَة كَانَ فى الحرَاسَة وَانْ كَانَ فى السَّاقَة كَانَ فى السَّاقَة إن اسْتَأذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ له » (١) .

وهى (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) هود ١٥ ، ١٦ قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تفسيره عن ابن عباس فى هذه الآية : ان أهل الرياء يعطون بحسناتهم فى الدنيا وذلك انهم لايظلمون نقيرا ، يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أوصلاة أو تهجداً بالليل لايعمله إلا التماس الدنيا يقول الله تعالى أوفيه الذى ليس فى الدنيا من المثابة وحبط عمله الذى كان يعمله لالتماس الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين .

(١) هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه فى موضعين فى كتاب الجهاد وكتاب الرقاق وليس ما ذكره المؤلف موافقا للفظ أحدهما ولعله

نقله بالمعنى وهاك شرح ألفاظه « تعس » بفتح أول وكسر ثانيه ويجوز الفتح وهو ضد سعد تقول تعس فلان أى شقى ، وقيل معنى التعس الكب على الوجه قال الخليل : التعس أن يعثر فلا يفيق من عثرته ، وقيل التعس الشر ومنه قوله تعالى : (فتعسا لهم) أراد الزامهم الشر ، وقيل البعد ، وقيل الهلاك ، وقيل التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه ، وقيل تعس أخطأ حجته وبغيته . وقوله « عبد الدينار » أى طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده ، قال الطيبى طيب الله ثراه قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه فى محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذى لا يجد خلاصاً ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على قدر الحاجة .

وقوله : « ان أعطى » الخ يؤذن بشدة الحرص على ذلك ، وقال غيره جعله عبداً لها لشغفه وحرصه فمن كان عبداً لهواه لم يصدق فى حقه ـ اياك نعبد ـ فلا يكون من اتصف بذلك صديقاً ، وكذلك يقال فى عبد الدرهم ، والخميصة ـ بفتح المعجمة فكسر ـ ثوب خز أو صوف معلم وهو الكساء المربع والخميلة ـ بفتح المعجمة ـ كل ثوب له خمل ، وفى بعض روايات صحيح البخارى بدل « الخميلة » القطيفة وفسرت بذلك ، وقوله انتكس بالمهملة أى عاوده المرض وقيل إذا سقط اشتغل بسقطته حتى يسقط أخرى ، وحكى عياض أن بعضهم رواه انتكش ـ بالمثنين المعجمة ـ وفسره بالرجوع وجعله دعاء له لا عليه والأول أولى . وقوله « شيك » بكسر المعجمة وسكون التحتية بعدها كاف ـ أى اصابته شوكة ، وانتقش ـ بالقاف والشين المعجمة ـ أى فلا قدر على إخراجها بالمنقاش تقول نقشت الشوك إذا استخرجته . قال شيخ الإسلام : فسماه النبى ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة

وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه لم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه ان أعطى رضى وان لم يعط سخط كما قال تعالى : (ومنهم ومن يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) فرضاؤهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقا منها برياسة أو بصورة ونحو ذلك من أهواء نفسه ان حصل له رضى وان لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده اهـ ، وقوله « طوبى لعبد » هى على وزن فعلى اسم الجنة وقيل هى شجرة فيها وفيه إشارة إلى الحض على العمل بما حصل به خير الدنيا والآخرة ، وعنان الفرس - بكسر أوله - سير اللجام قوله فى سبيل الله أى فى جهاد المشركين ، وقوله « اشعث » صفة لعبد مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه غير منصرف الوصف ووزن الفعل ولفظ « رأسه » مرفوع على الفاعلية ، وقوله « فى الحراسة » هو بكسر الحاء حماية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم ، وهذا من المواضع التى اتحد فيها الشرط والجزاء لفظا لكن المعنى مختلف ، والتقدير ان كان المهم فى الحراسة كان فيها ، وقيل معنى فهو فى الحراسة أى فهو فى ثواب الحراسة ، والساقة مؤخرة الجيش يعنى انه يقلب نفسه فى مصالح الجهاد فكل مقام يقوم فيه ان كان ليلا أو نهارا رغبة فى ثواب الله تعالى وطلبا لمرضاته جل وعز ، قال العلامة ابن الجوزى : المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فان اتفق له السير أسار افكأنه قال ان كان فى الحراسة استمر فيها وان كان فى الساقة استمر فيها ،

فيه مسائل ، الأولى ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة ، الثانيه تفسير آية هود ، الثالثة تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة ، الرابعة تفسير ذلك بأنه ان أعطى رضى وان لم يعط سخط ، الخامسة قوله تعس وانتكس ، السادسة قوله وإذا شيك فلا انتقش ، السابعة الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

﴿ بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَاباً من دون الله ﴾ (١) .

وقوله « ان استأذن لم يؤذن له » الخ أى ان استأذن على أمير أو حاكم أو مفتى لم يؤذن له لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة له ليس من طلابها وانما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سـواه ، وقوله ان شفع هو بفتح أوله وثانيه ولم يشفع بفتح الفاء المشددة يعنى لو ألجأته الحال إلى أن يشفع فى أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته عند أهل الدنيا الفانيه ، قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر فى فتح البارى : فيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع والله أعلم .

(١) اطاعة العلماء والأمراء والسلاطين والملوك واجبة فيما اباحه الشارع وأحله وممنوعة فيما لم يبحه الشارع وزجر عنه ، واستدل المصنف رحمه الله تعالى على أن الناس إذا أطاعوا أمراءهم وعلماءهم فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ(١) وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ

(١) قول ابن عباس رضى الله عنهما هذا جواب لمن قال له : ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة الى الحج ويريان أن أفراد الحج افضل ، أو كان ابن عباس يرى ان التمتع بالعمرة الى الحج واجب ، ويقول اذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء ام ابى لحديث سراقة بن مالك حين امرهم النبى ﷺ أن يجعلوها عمرة ويحلوا اذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة فقال سراقة يارسول الله ألعامنا هذا ام للأبد ؟ فقال بل للأبد ، وعلى هذا فلا عذر لمن استغنى أن ينظر فى مذاهب العلماء ، وما استدل به كل إمام ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل اذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلك كما قال الله تعالى : (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) الآية ولما فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما ، ان النبى ﷺ قال : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معى الهدى لأحللت ، هذا لفظ البخارى وفى حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه فى حديث جابر ، افعلوا ما أمرتكم به فلولا انى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم ، وأمثال هذا كثير وكل هذا يؤيد قول ابن عباس رضى الله عنهما ، وقوله يوشك — هو بضم أوله وكسر الشين المعجمة — أى يقرب ويسرع ، قال الامام مالك أمام دار الهجرة ما منا إلا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر ﷺ ، وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى : اجمع العلماء على ان من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد ، وكلام الأئمة فى هذا المكان واسع جدا ،

حَنْبَل عَجِبْتُ من قَوْم عَرَفُوا الاسْنَادَ وَصِحَّتَهُ وَيَذْهَبُونَ الَى رَأى سُفْيَانَ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ (فَلْيَحْذَر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْره أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اليمٌ) أَتَدْرُونَ مَا الفِتْنَةُ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ لَعَلَّهُ اذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْله أَنْ يَقَعَ فى قَلْبه شَىْءٌ مَنَ الزَّيْغ فَيَهْلكُ (١) ٥

---

(١) قال فى الشرح : رواه عنه الفضل بن زياد . وابو طالب قيل له أن قوما يدعون الحديث ويذهبون الى رأى سفيان وغيره فقال الخ ، وسفيان هذا هو الثورى العالم المجتهد الزاهد العابد الثقة الفقيه صاحب مذهب وأصحاب وينقل كلامه فى كثير من الكتب المطوله كالمحلى لابن حزم، فقوله الامام احمد رحمه الله تعالى عجبت لقوم الخ إنكار منه لذلك وانه يؤل الى زيغ القلوب الذى يكون به المرء كافرا وقد عمت البلوى بهذا المنكر خصوصا ممن ينتسب الى العلم نصبوا الحبائل فى الصد عن الاخذ بالكتاب والسنة وصدوا الناس عن متابعة الرسول ﷺ وتعظيم امره ونهيه ، فمن ذلك قولهم : لا يستدل بالكتاب والسنة الا المجتهد — والاجتهاد — قد انقطع ، ويقول هذا الذى قلدنه اعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه ونحو ذلك من الاقوال التى غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى ، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ وغيره من الائمة يخالفه ويمنع قوله بدليل ، فما من امام الا والذى معه بعض العلم لا كله ، فالواجب على كل مكلف اذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك أن ينتهى اليه ويعمل به وان خالفه من خالفه كما قال تعالى : (اتبعوا ما انزل اليكم من

وبكم ولاتتبعوا من دونه أولياء) الآية، وقال تعالى : (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وفى كلام الإمام احمد رحمه الله تعالى اشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم وانما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول امام من الائمة ، وذلك انما نشأ عن الاعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله والاقبال على كتب من تأخر والاستغناء بها عن الوحيين ، وهذا شبه ماوقع من أهل الكتاب الذين قال الله فيهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها وعرف أقوالهم ان يعرضها على مافى الكتاب والسنة فان كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لابد أن يذكر دليله ، والحق فى المسألة واحد والائمة يثابون على اجتهادهم فالمنصف يجعل النظر فى كلامهم وتأمله طريقا الى معرفة المسائل واستحضارها ذهنا وتمييزا للصواب من الخطأ بالأدلة التى يذكرها المستدلون ، ويتعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء فيتبعه ، والأدلة على هذا الأصل فى كتاب الله أكثر من أن تحصر وفى السنة كذلك كما اخرج أبو داود بسنده عن اناس من أصحاب معاذ ان رسول الله ﷺ لما اراد ان يبعث معاذا الى اليمن قال : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله تعالى ، قال فان لم تجد فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فان لم تجد فى سنة رسول الله ﷺ ولا فى كتاب الله قال اجتهد رأيى ولا آلو قال فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله . وساق بسنده عن الحارث بن عمر عن اناس من أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن بمعناه . والأئمة رحمهم الله لم يقصروا فى البيان لم نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة لعلمهم أن من العلم شيئا لم علموه وقد يبلغ غيرهم ، وذلك

كثير كما لا يخفى على من نظر فى أقوال العلماء . قال أبو حنيفة رحمه الله : إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال . وقال إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولى لكتاب الله قيل إذا كان رسول الله ﷺ يخالفه قال اتركوا قولى لخبر الرسول ﷺ فخذوا سنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت . وقال إذا صح الحديث بما يخالف قولى فاضربوا بقولى الحائط . وقال مالك كل واحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ . وتقدم له مثل ذلك فلا عذر لمقلد بعد هذا ، ولو استقصينا كلام العلماء فى هذا المخرج بنا عما قصدناه من الاختصار وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدى . قوله « لعله إذا رد بعض قوله » أى قول الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ان يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك . نبه رحمه الله أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب وذلك هو الهلاك فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى : « فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين » . قال شيخ الإسلام رحمه الله فى معنى قول الله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » فاذا كان المخالف لأمره قد حذر من الكفر والشرك او من العذاب الأليم دل على انه قد يكون مفضيا إلى الكفر والعذاب الأليم ، ومعلوم ان افضاءه إلى العذاب الأليم هو مجرد فعل المعصية ، فافضاؤه إلى الكفر انما هو لما يقترن به من الاستخفاف فى حق الآمر كما فعل ابليس لعنه الله تعالى انتهى . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى عن الضحاك : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » قال يطبع على قلبه فلا يؤمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه . قال أبو جعفر بن جرير : ادخلت (عن) لأن معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ) الآيَةَ، فَقُلْتُ لَهُ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ قَالَ أَلَيْسُوا يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ (١)*

فيه مسائل . الأولى تفسير آية النور . الثانية تفسير آية براءة الثالثة التنبيه على معنى العبادة التى أنكرها عدى . الرابعة تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان . الخامسة تغير الأحوال الى هذه الغاية صار عند الأكبر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال وتسمى الولاية وعبادة الأحبار هى العلم والفقه ثم تغيرت الأحوال الى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين *

عن أمره عنه ويدبرون معرضين : قوله (أو يصيبهم) فى عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على خلافهم امر رسول الله ﷺ *

(١) هذا الحديث يدل على أن طاعة الرهبان والأحبار فى معصية الله عز وجل عبادة لهم من دون الله . ومن الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله تعالى لقوله جل وتعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) ونظير ذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) *

(بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى) (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا الآيَاتِ(١)

---

(١) قال العلامة حافظ الشام عماد الدين ابن كثير فى تفسيره : هذا انكار من الله عز وجل على من يدعى الايمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر فى سبب نزول هذه الآية انها فى رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودى يقول بينى وبينك محمد وذاك يقول بينى وبينك كعب بن الأشرف ، وقيل فى جماعة من المنافقين ممن أظهر الاسلام أرادوا أن يتحاكموا الى حكام الجاهلية ، وقيل غير ذلك والآية أعم من ذلك كله فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ها هنا ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) الى آخرها اه وقوله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً) بين تعالى ذكره فى هذه الآية أن التحاكم الى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله وأكده بالمصدر ووصفه بالبعد فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى ، قال فى الشرح : ففى هذه الآية أربع أمور : الأول انه من ارادة الشيطان ، والثانى انه ضلال ، والثالث تأكيده بالمصدر الرابع وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى فسبحان الله ما اعظم هذا القرآن

وَقَوْلِهِ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(١)) وَقَوْلِهِ (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) (٢) وَقَوْلِهِ (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ

وما أبلغه ، وما ادله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليهما أجمعين .

(١) قال ابن كثير نقلا عن أبي العالية قال : يعني لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية الله لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة ، وقال ابن جريج عن مجاهد : إذا ركبوا معصية الله قيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا إنما نحن مصلحون ، فالمنافق لما كان ظاهرة الايمان اشتبه أمره على المؤمنين فكان الفساد من جهة المنافق حاصل لأنه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لا حقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله الاول لكان شره أخف ولو اخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لافلح وأنجح ولهذا قال تعالى : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصطلح مع هؤلاء .

(٢) قال شمس الدين بن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : قال أكثر المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله لها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله فان عبادة غير الله والدعوة الى غيره والشرك به هو أعظم فساداً في الارض بل فساد الارض في الحقيقة انما هو بالشرك به ومخالفة أمره ، فالشرك والدعوة الى غير الله واقامة

يَبْغُونَ) (١) الآيَةَ ٭

معبود غيره ، ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم فساد فى الأرض ولإصلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا وغيره انما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ فاذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة . ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح فى الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ، وكل شر فى العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله . انتهى ٭

(١) قال الحافظ أبو الفداء عماد الدين : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن جنكزخان الذى لهم وضع الياسق - وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها - وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظرة وهواه فصارت فى بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير قال الله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) أى يبتغون ويريدون وعن حكم الله يعدلون (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أى ومن اعدل من الله فى حكمه ، فمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم ان الله تعالى

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ » قَالَ النَّوَوِيُّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ (١) رَوَيْنَاهُ

احكم الحاكمين وارحم بخلقه من الوالدة بولدها فانه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل فى كل شيء .

(١) هذا الحديث رواه الحافظ أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى وقيل هو ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى الشافعى الفقيه الزاهد نزيل دمشق فى ــ كتاب الحجة على تارك المحجة ــ فى عقيدة أهل السنة، ورواه محى السنة البغوى فى المصابيح وشرح السنة ، واخرجه ابو نعيم ايضا فى كتابه الأربعين التى شرط فى اولها ان يكون من صحاح الأخبار وجياد الآثار مما اجمع الناقلون على عدالة ناقله ، ورواه الطبرانى ايضا وكذا الحافظ ابو بكر بن ابى عاصم الاصفهانى . ومعنى الحديث والله الهادى الى فهمه لا يكمل إيمان احدكم حتى يكون موافقته للشريعة مثل موافقته لمألوفاته من غير الكلفة ، ويجوز ان يحمل على نفى اصل الايمان اى حتى يكون تابعا للشرع اعتقاداً كالمخلصين لاخوفا وكراها كالمنافقين ويوافق هذا الحديث خبر « لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب اليه من نفسه ووالده وولده وأهله والناس اجمعين » رواه الشيخان ولما صدقت محبة الصحابة له ﷺ وكان هو أهم تبعا لما جاء به قاتلوا معه آباءهم وأبناءهم وبذلوا فى طريقهم مهجهم وأنفقوا أموالهم فطوبى لهم فما كان الهوى ــ وهو الباطل المطاع المحبوب الاتباع ــ تابعاً لطرق الهدى من الملة البيضاء والسنة الزهراء حتى يصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التى تنبعث من هوى النفس وميل الطبع هما واحداً يتعلق بأمر ربه

واتباع سرعه تعظيما لحقه وشفقة على خلقه كما قال :

كانت لقلبي أهواء مفرقه فاستجمعت اذ رأتك العين أهوائى
وصار يحسدنى من كنت احسدهم وصرت مولى الورى اذ صرت مولاتى
تركت للخلق دنياهم ودينهم شغلا بحبك يادينى ودنياتى

فلا يميل الا بأمر الشرع ولا يهوى الا حكم الطبع فهو المؤمن الكامل الوحيد الذى يقبل منه التوحيد ومن أعرض عنه متبعاً لهواه مبتغياً لرضاه فهو الكافر الخاسر فى دنياه وعقباه ومن اتبع أصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق . والهوى مصدر هواه أحبه وشرعا ميل النفس الى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع ، قال الراغب : مثل النفس فى البدن كجاهد بعث الى ثغر يراعى أحواله . وعقله خليفة مولاه لديه ضم اليه ليرشده ويشهد له وعليه . وبدنه بمنزلة مركوب . وهواه سائس خبيث ضم اليه ليتفقد مركوبه . والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة . والنبي رسول أتاه بالكتاب ليبين للناس ما نزل اليهم وأشكل عليهم فان جاهد أعداءه وقهرهم واستعان بالعقل من أمرهم حمد أثره اذا عاد الى حضرته وهو من المفلحين ومن ضيع ثغره واهمل رعيته وصرف همته الى مركوبه وأقام سائس المركوب مقام خليفة ربه فهو فى الآخرة من الخاسرين .

قال الحافظ الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى فى شرح هذا الحديث : أما معنى الحديث فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهى وغيرها فتحب ما أمر به وتكره ما نهى عنه ، وقد ورد القرآن بمثل هذا المعنى فى غير موضع ، وذم سبحانه من كره ما أحبه الله أو أحب ما كرهه الله كما قال

تعالى : (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الاتيان بما أوجب عليه عنه ، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا وأن يكره ما يكرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه ، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلا ممن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلب أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحب الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله فيرضى بما يرضى به الله ورسوله ويسخط مايسخط الله ورسوله ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فان عمل بجوارحه شيئاً يخالف ذلك بأن ارتكب بعض مايكرهه الله ورسوله وترك محبة الله ورسوله ، مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة ، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة التى هى ركن العبادة إذا كانت فجميع المعاصى تنشأ عن تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى فى مواضع من كتابه ، فقال تعالى : (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وكذلك البدع انما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهذا سمى أهلها أهل الأهواء وكذلك المعاصى انما تنشأ من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة وما يحبه ، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ ، فيجب على المؤمن محبة ما يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموماً ، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الايمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، فتحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموماً وبهذا يكون الدين كله لله ومن أحب لله

فى كتاب الحجة باسناد صحيح . وقال الشعبى(١) كان بين رجل من المنافقين ويا خذور رجل من اليهود خصومة فقال اليهودى نتحاكم إلى محمد عرف أنه الرشوة ولا يميل فى الحكم (٢) وقال المنافق نتحاكم إلى اليهودى لعلمه أنهم

وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا فى ايمانه الواجب فتجب التوبة من ذلك . انتهى ملخصا .

(١) الشعبى هو الإمام العلامة الحافظ البارع المجتهد عامر بن شراحيل الكوفى ذو الفنون كان يقول رحمه الله تعالى : ما كتبت سوداء فى بيضاء ونسيتها ، وادرك خلقاً كثيرا من الصحابة وعاش بضعا وثمانين سنة ، وفى كلامه هذا مايدل على أن المنافق يكون اشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى وهو أشد عداوة منهم لأهل الايمان كما هو الواقع فى هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والايمان ومن تدبر ما فى التاريخ وما وقع منهم من الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديما وحديثا وقد حذر الله نبيه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم وحضه على جهادهم فى مواضع من كتابه ، قال الله تعالى : (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) الآية .

(٢) بتثليث الراء هى ما يعطيه أحد الخصمين للقاضى ليحكم له . قال ابن القيم هذا دليل على من دعى إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين .

يَأْخُذُونَ الرَّشْوَةَ فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَانِ إِلَيْهِ فَنَزَلَتْ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ (الآيَةَ . وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا فَقَالَ أَحَدُهُمَا نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ الآخَرُ نَتَرَافَعُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكَذَلِكَ ؟ قَالَ نَعَمْ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ فَنَزَلَتْ .

فيه مسائل : الأولى تفسير آية النساء وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت (١) ، الثانية تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض) الآية ، الثالثة تفسير آية الأعراف (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها) الرابعة تفسير (أفحكم الجاهلية يبغون) ، الخامسة ما قال الشعبي فى سبب نزول الآية الأولى . السادسة تفسير الايمان الصادق والكاذب ، السابعة قصة عمر مع المنافق ، الثامنة كون الايمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول ﷺ .

---

(١) يؤخذ من الآية أن من يحكم بغير ما أنزل الله طاغوت وهذا يشمل كل من عرف حكم الله أو أمكنه أن يعرفه وحكم بخلافه كما هو واقع فى هذا الزمان نرجو الله السلامة .

(بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ) (١) وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) الآيَةَ

---

(١) أي هذا باب بيان حكم من جحد شيئاً من أسماء الله تعالى وصفاته وقد استدل المصنف رحمه الله تعالى على كفر من أنكر ذلك بالآية القرآنية وقد ذهب إلى اثبات صفات الله تعالى وأسمائه كما وصف الله بها نفسه أهل السنة والجماعة ، ومال أهل البدع والأهواء كجهم بن صفوان ومن تبعه إلى أن أسماء الله جل وعز لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى ، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشـــاعرة وغيرهم فلهذا كفرهم كثير من أهل السنة ، قال الإمام شمس الدين بن قيم في نونيته :

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الامام حـــكاه عنهم بـــل حكاه قبـــله الطبراني

قال في الشرح : فان الكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات يحتذى حذوه ، فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتا لا تشبه الذوات فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله لا تشبه صفات خلقه ، فانهم امنوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يتناقضوا وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك وتناقضوا فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل ولله الحمد والمنة وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين . وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى في الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في إبطال هـــذه البدع وما فيها من التناقض والتهافت كالإمام أحمد رحمه

قَالَ البُخَارِى فى صَحِيحِه قَالَ عَلِىٌّ(١) حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَرَوَى عَبْدُ الرَّازِقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ(٢) حِينَ سَمِعَ حَدِيثًا

الله تعالى فى رده المشهور ، وكتاب السنة لإبنه عبد الله ، وصاحب الحيرة عبد العزيز الكنانى فى رده على بشر المريسى ، وكتاب السنة لأبى عبد الله المروزى ، ورد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد وهو بشر المريسى ، وكتاب التوحيد لإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعى - وهو تحت الطبع - وكتاب السنة لأبى بكر الخلال ، وأبى عثمان الصابونى الشافعى ، وشيخ الإسلام الأنصارى وأبى عمر بن عبد البر وخلق كثيرين من أصحاب الأئمة الأربعة وأتباعهم أهل الحديث ومن متأخريهم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم رحمهم الله تعالى فلله الحمد والمنة على بقاء السنة وأهلها مع تفرق الأهواء وتشعب الآراء . والله أعلم .

(١) هو ابن أبى طالب ، والنهى والله أعلم عن الأخبار الاسرائيلية التى لا تدل على حلال ولا على حرام ولا ينفع العامة علمها بل ربما ضرهم ، بنحو هذا فسره الشارح .

(٢) بالفاء من الانتفاض أى تحرك واضطرب من هول ما سمع وكذا فى النسخة الخطية بالفاء أيضا وفى الشرح انتقض بالقاف ومعناه على هذه النسخة انتكس وانحل أى فسدت حاله والله أعلم .

النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك فقال مافرق (١) هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه (٢) انتهى . ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم (وهم يكفرون بالرحمن (٣) .

فيه مسائل : الأولى عدم الايمان بجحد بشيء من الأسماء والصفات ، الثانية تفسير آية الرعد ، الثالثة ترك التحديث بما لا يفهم السامع ، الرابعة ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر ، الخامسة كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك وأنه أهلك .

---

(١) هو بفتحتين الخوف ، والاستفهام انكاري أي ليس خوفهم بشيء لايمانهم ببعض الحديث وكفرهم ببعض .

(٢) عن جماعة من الصحابة المحكم هو الناسخ الذي يعمل به والمتشابه هو المنسوخ وقد يطلق المتشابه على مالا يعرفه حقيقة إلا الله كآيات الصفات وأحاديثها وهذا هو المراد به هنا .

(٣) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول الآية . وعن قتادة . وابن جريج . ومقاتل أن الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب علي كرم الله وجهه (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة ، وقيل سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ يا الله يا رحمن فقال أن محمداً ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت : .

﴿ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴾ (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا (١) الآيَةَ »

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ مِنْ آبَائِي : وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَقُولُونَ لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا : وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ يَقُولُونَ هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا، وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ (٢) بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ » الْحَدِيثَ وَقَدْ تَقَدَّمَ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ : قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ هُوَ قَوْلُهُمْ كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَّاحُ حَاذِقٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ »

فِيهِ مَسَائِلُ : الْأُولَى تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا ، الثَّانِيَةُ مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ ، الثَّالِثَةُ تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ ، الرَّابِعَةُ اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي الْقَلْبِ »

---

(١) قال أهل التأويل : معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره فى هذه السورة من النعم من عند الله وأن الله هو المنعم عليهم بذلك ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم ، والله أعلم »

(٢) هو الامام شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى ، وحديث زيد بن خالد تقدم فى باب ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء »

(بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى) (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١)

قَالَ ابْنُ عَبَّاس فى الآيَة الانْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى من دَبيب النَّمْل عَلَى صَفَاة (٢) سَوْدَاءَ فى ظُلْمَة اللَّيْل وَهُوَ أَنْ تَقُولَ وَاللهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانَةُ وَحَيَاتى ، وَتَقُولُ لَوْلَا الكلْبُ لأَتَانَا اللُّصُوصُ وَلَوْلَا البَطُّ (٣) فى الدار لأَتَانَا اللُّصُوصُ ، وَقَوْلُ الرَّجُل لصَاحبه مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ : وَقَوْلُ الرَّجُل لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ لَا تَجْعَلْ (٤) فيهَا فُلَانًا هَذَا

---

(١) الانداد جمع ندو هو المثل والنظير، وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه انه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم ما قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : قال أبو العالية : لا تجعلوا لله أندادا أى عدلاء شركاء وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدى وأبو مالك واسماعيل بن أبى خالد . وقال ابن عباس : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) أى لا تشركون بالله شيئاً من الأنداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أن ربكم لا يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذى يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذى لا شك فيه وكذلك قال قتادة ، وعن قتادة ومجاهد لا تجعلوا لله أندادا قال اكفاء من الرجال تطيعونهم فى معصية الله . والله أعلم (٢) هو الحجر الأملس .

(٣) هو من طير الماء (٤) أى لا تجعل فى مقالتك فلانا بل الله وحده .

كُلُّه به شرْكٌ (١) رَوَاهُ ابْنُ أبي حَاتِم وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ (٢) » رَوَاهُ التِّرْمذي وحَسَّنَهُ وَصَحَّحَهُ الحَاكِم، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِباً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِه صَادِقاً (٣) .

---

(١) قال في الشرح : بين ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا كله من الشرك وهو الواقع اليوم على ألسنة كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك فتنه لهذه الأمور فانها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه لكونه أكبر الكبائر ، وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى .

(٢) قوله « فقد كفر أو أشرك » يحتمل أن يكون شكا من الراوي ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر كما هو من الشرك الأصغر ، وورد مثل هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ أفاده الشارح .

(٣) قال في الشرح : ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبا كبيرة من الكبائر لكن الشرك أكبر من الكبائر وان كان أصغر كما تقدم بيان ذلك ، فاذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار كدعوة غير الله والاستغاثة به والرغبة إليه وانزال حوائجه به كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها من تعظيم القبور واتخاذها أوثانا والبناء عليها واتخاذها مساجد وبناء المشاهد باسم الميت

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان (١)» رواه أبو داود بسند صحيح وجاء عن ابراهيم النخعي (٢) أنه يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك

لعبادة من بنيت باسمه و تعظيمه والاقبال عليه بالقلوب ، الأقوال والأعمال ، وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهى عن هذا الشرك وما يوصل إليه . قال الله تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) إلى قوله : (وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) كفرهم تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه فى دار الدنيا وقد قال تعالى : (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى : (قل انما أدعو ربى ولا اشرك به أحداً قل انى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر فخالفوا ما بلغ به الأمة وأخبر به عن نفسه ﷺ فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله والتعلق على غير الله .

(١) لأن المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه لكونها انما وضعت لمطلق الجمع فلا تقضى ترتيباً ولا تعقيباً وتسوية المخلوق بالخالق شرك ان كان فى الأصغر مثل هذا فهو أصغر وان كان فى الأكبر فهو أكبر كما قال تعالى عنهم فى الدار الآخرة : (تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) بخلاف المعطوف بثم فان المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعا والله أعلم .

(٢) هو العالم الحافظ الفقيه رأس أهل الكوفة فى زمنه ومفتيها المتوفى

وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ قَالَ وَيَقُولُ لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ وَلَا تَقُولُوا لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ ٥

فيه مسائل : الأولى تفسير آية البقرة فى الانداد ، الثانية أن الصحابة يفسرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر أنها تعم الأكبر والأصغر : الثالثة أن

سنة ٩٦ والنخعى نسبة إلى نخع بفتحتين قبيلة من اليمن ٥ قال فى الشرح : وهذا انما هو فى الحى الحاضر الذى له قدرة وسبب فى الشىء وهو الذى يجرى فى حقه مثل ذلك . وأما فى حق الأموات الذين لا احساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال فى حقهم شىء من ذلك فلا يجوز التعلق بشىء ما بوجه من الوجوه ، والقرآن يبين ذلك وينادى بأنه يجعلهم آلهة إذا سئلوا شيئاً من ذلك أو رغب إليهم أحد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر . فمن تدبر القرآن ورزق فهمه صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق ٥ والعلم له أسباب ولقد أحسن العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى حيث قال فى نونيته :

والجهل داء قاتل وشفاؤه ... أمران فى الترتيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الربانى
والعلم أقسام ثلاث مالها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء الرحمن
والأمر والنهى الذى هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثانى
والكل فى القرآن والسنن التى ... جاءت عن المبعوث بالقرآن
والله ما قال امرؤ متحذلق ... بسواهما إلا من الهذيان

الحلف بغير الله شرك ، الرابعة أنه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس ، الخامسة الفرق بين الواو وثم فى اللفظ .

(بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللهِ)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ، قَالَ لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِى شَىْءٍ (١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ .

فيه مسائل : الأولى النهى عن الحلف بالآباء ، الثانية الأمر للحلوف له بالله أن يرضى ، الثالثة وعيد من لم يرض .

(بَابُ قَوْلِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)

عَنْ قُتَيْلَةَ ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ فَأَمَرَهُمُ النَّبِىُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ وَأَنْ يَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ ، (٢)

---

(١) الحلف بغير الله تعالى تقدم النهى عنه فالحلف بالآباء داخل فيه ، وقوله ومن حلف بالله فليصدق فقد ورد الحث على الصدق فى كتابه المنزل وسنة رسوله ﷺ كثيراً .

(٢) ، قتيلة - بقاف يعدها تاء مثناة من فوق مصغرا - بنت صيـ

وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ فَقَالَ أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا قُلْ (١) مَاشَاءَ اللهُ وَحْدَهُ وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا « قَالَ رَأَيْتُ (٢) كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ (٣) مِنَ الْيَهُودِ قُلْتُ إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ (٤) لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ

الأنصارى صحابية مهاجرة ، وفى الحديث دليل على قبول الحق ممن جاء به كائنا من كان، وفيه أيضا النهى عن الحلف بالكعبة مع انها بيت الله تعالى التى حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة « قال فى الشرح : وهذا يبين أن النهى عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شىء لا لملك مقرب ولا نبى مرسل ولا للكعبة التى هى بيت الله فى أرضه ، وانت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها مالا يقدر عليه إلا الله ، ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع ، وانما شرع الله لعباده الطواف بها ودعاؤها ممنوع فميز أيها المكلف بين مايشرع وما يمنع وان خالفك من خالفك من جهلة الناس الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، وقوله : « انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت ، فالعبد وان كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله ولا قدرة له على أن يشاء شيئاً إلا إذا كان الله قد شاءه كما قال تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا ان يشاء الله رب العالمين) «

(١) أى مثلا وشريكا والمعنى ما ينبغى لك أن تسوينى بالله

(٢) يعنى فى المنام (٣) جماعة أقل من عشرة

(٤) أى المعتبرون لولا أنكم الخ

عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ قَالُوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ثم أتيت على نفر من النصارى فقلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته قال هل أخبرت بها أحداً قلت نعم قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وأنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا (١) إني أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده ٭

فيه مسائل : الأولى معرفة اليهود بالشرك الأصغر ، الثانية فهم الانسان إذا كان له هواء ، الثالثة قوله ﷺ « أجعلتني لله ندا » فكيف بمن قال ما لي

---

(١) كناية عن شيء لم يذكر في هذه الرواية ، قال الشارح وفي بعض طرقه كان يمنعني الحياء اهـ قلت : فان قيل كيف يستحي من الحق ؟ فالجواب قد يقع منه ذلك ولكن الله لا يقر بل ينبهه فيصرح بما استحيا من التصريح به كما في قصة زينب في سورة الأحزاب ٭

من ألوذ به (١) سواك وكذلك البيتين بعده ، الرابعة أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله يمنعني كذا وكذا ، الخامسة أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي ، السادسة أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

(بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ)

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) الآيَةَ (٢) .

---

(١) يريد قول البوصيري في البردة لا البردة كما زعم العوام لأن ناظمها سماها البردة :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

وقد بالغ البوصيري في غير موضع من مدائحه ولا تسأل عما كان يعمل ولعله لو نبه على هذا وما يفيده الحصر لرجع فالضال كل الضلال هو الذي ينبه على هذا الخطأ ونحوه فيصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم . قال في الشرح : فانظر إلى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد انه لا نجاة له إلا بلياذه ولياذه بغير الله وانظر إلى هذا الاطراء العظيم الذي يجاوز الحد في الأطراء الذي نهى عنه ﷺ بقوله « لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » رواه مالك وغيره اهـ .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد وقالوا : (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) ما ثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار »(١) وفي رواية « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر »(٢) .

فيه مسائل : الأولى النهي عن سب الدهر ، الثانية تسميته أذى الله ، الثالثة التأمل في قوله : « فان الله هو الدهر » ، الرابعة أنه قد يكون سابا وان لم يقصده بقلبه .

وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ويقوله الفلاسفة الالهيون ومنهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وهذه منهم مكابرة للمعقول وتكذيب للمنقول نسأل الله السلامة .

(١) رواه أيضا النسائي وأبو داود . قال في شرح السنة حديث متفق على صحته أخرجاه من طريق معمر من اوجه عن أبي هريرة قال : ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر أي سبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون : اصابتهم قوارع الدهر وابادهم الدهر فاذا اضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبها إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصنعونها فنهوا عن سب الدهر انتهى باختصار والله أعلم ، وفي الحديث زيادة لم يذكرها المصنف وهي قوله « بيدي الأمر » . (٢) أي إن الله هو الفاعل الحقيقي للأشياء فمن سب الدهر انما سبه لنسبة الحوادث إليه وهو ليس له فعل فرجع السب الى الفاعل الحقيقي وهو الله تعالى ذكره .

(بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي القُضَاةِ وَنَحْوِهِ)

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ » قَالَ سُفْيَانُ مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ ، وَفِي رِوَايَةٍ « أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ(١) » قَوْلُهُ أَخْنَعُ يَعْنِي أَوْضَعُ .

فِيهِ مَسَائِلُ : الأُولَى النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ ، الثَّانِيَةُ أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ ، الثَّالِثَةُ التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ مَعَ القَطْعِ بِأَنَّ القَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ ، الرَّابِعَةُ التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِاجْلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ .

---

(١) أَيْ أَبْغَضُ رَجُلٍ عِنْدَ اللهِ وَأَخْبَثُهُ لِأَنَّهُ لَمَّا تَعَاظَمَ بِنَفْسِهِ وَعَلَى الخَلْقِ وَضَعَهُ اللهُ تَعَالَى وَجَعَلَهُ أَحْقَرَ العِبَادِ وَمَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ وَقَوْلُهُ « شَاهَانْ شَاهْ » هُوَ عِنْدَ العَجَمِ عِبَارَةٌ عَنْ مَلِكِ الأَمْلَاكِ وَلِهَذَا مَثَّلَ بِهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، وَقَوْلُهُ « أَغْيَظُ » مِنَ الغَيْظِ وَهُوَ مِثْلُ الغَضَبِ وَالبُغْضِ ، قَالَ فِي الشَّرْحِ : هَذَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَمُرُّ كَمَا جَاءَتْ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَّا وَيَجِبُ اتِّبَاعُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ وَإِثْبَاتُهُ عَلَى وَجْهٍ يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ تَعَالَى إِثْبَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ - وَالبَابُ كُلُّهُ وَاحِدٌ ، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مِنَ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً ، وَهَذَا التَّفَرُّقُ وَالاخْتِلَافُ إِنَّمَا حَدَثَ فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّالِثِ وَمَا بَعْدَهُ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِمَا وَقَعَ فِي الأُمَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالاخْتِلَافِ وَالخُرُوجِ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَاللهُ المُسْتَعَانُ .

﴿ بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ ﴾

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فَقَالَ إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ فَقَالَ مَا أَحْسَنَ هَذَا فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ قَالَ فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ شُرَيْحٌ قَالَ فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

فيه مسائل : الأولى احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه ، الثانية تغيير الاسم لأجل ذلك ، الثالثة اختيار أكبر الأبناء للكنية .

(بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ . وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى)

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) (١) الآيَةَ .

---

(١) هو من المنافقين اسمه مخشى بن حمير ، أقول وهذا شأن اخوانهم في زماننا فكل من رأوه يلهج بالقرآن والسنة ويدعو إليهما يلتمسون له العيوب ويخلقونها له بهتانا لأنه يسمعهم ما يكرهون والعادة أن من تمسك بالحق يعادى،

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ وَقَتَادَةَ دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ (١) بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ (٢) يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ (٣) نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ (أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) مَا يَلْتَفِتُ (٤) إِلَيْهِ (٥) وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ (٦) ٠

---

(١) أكثر رغبة فى الأكل (٢) أى أكثر جبنا عند لقاء العدو

(٣) هو سير تشد به الرحال وهو على وزن حكمة (٤) فاعله ضمير عائد على رسول الله ﷺ ولم يقبل عذر المنافق لكذبه (٥) أى الى المنافق (٦) أى لا يزيد المنافق على قوله أبالله وآياته شيئا والحديث أخرجه الطبرى فى تفسيره ٠

فيه مسائل : الأولى وهى العظيمة ان من هزل بهذا انه كافر ، الثانيه أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان ، الثالثة الفرق بين اليمة وبين النصيحة لله ولرسوله ، الرابعة الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة (١) على أعداء الله ، الخامسة أن من الاعتذار مالا ينبغى أن يقبل .

(بَابُ قَوْل الله تَعَالَى وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً منَّا من بَعْد ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لى) الآيَةَ .

قَالَ مُجَاهِدٌ هَذَا بعَمَلى وَأَنَا مَحْقُوقٌ بهوَقَالَ ابْنُ عَبَّاس يُرِيدُ من عنْدى وَقَوْله (قَالَ انَّمَا أوتيتُهُ عَلَى علْم عنْدى) قَالَ قَتَادَةُ عَلَى علْم منِّى بوُجُوه الْمَكَاسب . وَقَالَ آخَرُونَ عَلَى علْم منَ الله أنِّى لَهُ أَهْلٌ وَهَذَا مَعْنَى قَوْل مُجَاهِدٍ أوتيتُهُ عَلَى شَرَف (٢)وَعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمعَ رَسُولَ الله

---

(١) يعنى أن النبى ﷺ أغلظ على المنافق كما أمره ولم يصفح عنه لعلمه أنه عدو الله .

(٢) وهذه الأقوال ليس فيها اختلاف وانما هى افراد المعنى بذلك قال الحافظ العلامة عماد الدين ابن كثير فى تفسيره : (واذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بلى هى فتنة) يخبر ان الانسان فى حال الضر يضرع الى الله تعالى وينيب اليه ويدعوه ثم اذا خوله نعمة منه طغى وبغى وقال انما

ﷺ يَقُولُ :«انَّ ثَلَاثَةً من بَنِى اسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَاللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ اليهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ اليْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّى الَّذِى قَدْ قَذِرَنِى النَّاسُ بِهِ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ فَأُعْطِىَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا قَالَ فَأَىُّ المَالِ أَحَبُّ اليْكَ ؟ قَالَ الابِلُ أو البَقَرُ ـ شَكَّ إِسْحَاقُ ـ فَأُعْطِىَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا قَالَ فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ

أوتيته على علم اى لما يعلم الله استحقاق له ، ولولا انى عندالله بخصيص لما خولنى هذا قال تعالى : (بل هى فتنة) اى ليس الامر كما زعم بل انما انعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما انعمنا عليه أيطيع أم يعصى مع علمنا المتقدم بذلك (بل هى فتنة) اى اختبار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون (قد قالها الذين من قبلهم) أى هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الامم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون كما قال تعالى مخبرا عن قارون ، اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ، الى قوله (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) قال تعالى : (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) انتهى .

إِلَيْكَ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأَعْطَى شَعْراً حَسَناً فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ أَوِ الإِبِلُ فَأَعْطَى بَقَرَةً حَامِلاً قَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ قَالَ ثُمَّ أَنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيراً فَأَغْنَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَالِ فَقَالَ إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ قَالَ وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَتَمَثَّلَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ

عَلَيْهِ هٰذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ قَالَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي هٰذَا فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ فَقَالَ أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَلَيْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ ، أَخْرَجَاهُ (١) .

---

(١) أى اخرج الحديث البخارى ومسلم ، وقوله أبرص هو من به داء البرص ، وقوله « أقرع » هو من به داء القرع وهو داء يصيب الصبيان فى رءوسهم ثم ينتهى بزوال الشعر كله أو بعضه ، وقوله « ان يبتليهم أى يختبرهم بنعمته (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ، وقوله « قد قذرنى » أى عدونى قذرا وسخا فكرهونى ، والناقة العشراء - بضم العين وفتح الشين وبالمد على وزن حمراء - هى الحامل ، قوله انتج ، وفى رواية فنتج معناه تولى نتاجها والناتج للناقة كالقابلة للمرأة ، وقوله « وولد » هو بتشديد اللام أى تولى ولادتها وهو معنى نتج فى الناقة ، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد لكن هذا للحيوان وذاك لغيره ، وقوله « انقطعت بى الحبال » هو بالحاء المهملة والباء الموحدة هى الأسباب ، وقوله « فلا بلاغ » أى ما يبلغنى إلى

فيه مسائل : الأولى تفسير الآية الثانية ما معنى ليقولن هذا لى ، الثالثة ما معنى قوله إنما أوتيته على علم عندى ، الرابعة ما فى هذه القصـــة العجيبة من العبر العظيمة .

أهلى من الزاد ، وقوله « بعيرا » هو منصوب بمحذوف تقديره اسألك ،قوله كابراً عن كابر اى شريفا كبيرا عن شريف كبير ، وقوله لا اجهدك معناه لا اشق عليك فى رد شيء تأخذ أو تطلبه من ماله . قال فى الشرح : وفيه معتبر فان الأولين جحدا نعمة الله فما اقرا لله بنعمة ولا نسبا النعمة إلى المنعم بهـا ولا أديا حق الله فيها بنعمة فحل عليهما السخط ؟ وأما الأخير فاعترف بنعمة الله ونسبها الى من أنعم عليه بها وأدى حق الله فيها فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التى لا يقوم الشكر إلا بهـــا وهى الاقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم وبذلها فيما يحب .

قال الإمام شمس الدين ابن قيم رحمه الله تعـالى : أصل الشكر هو الاعتراف بأنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة ، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها ، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بهـا لم يشكرها ايضا ، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرضى به عنه لم يشكرها أيضا ، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضى به وعنه واستعملها فى محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها ، فلابد فى الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له .

(بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ (١) شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) الآيَةَ .

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ (٢) لِغَيْرِ اللهِ كَعَبْدِ عُمَرَ وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ حَاشَا (٣) عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

---

(١) روى أحمد والترمذى وحسنه واستغربه والحاكم وصححه عن سمرة مرفوعاً لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره ، وروى عن ابن عباس موقوفاً قال ابن كثير وكأن أصله والله أعلم مأخوذ من أهل الكتاب .

(٢) كتسمية عبد الحسين وعبد على وعبد العباس عند الشيعة وعبد النبي عند غيرهم وكل ذلك حرام ، وابن حزم هذا هو الإمام العلامة الوزير ابن الوزير صاحب التآليف العظيمة عالم الاندلس أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهرى ، طبعنا له « المحلى » فى فقه علماء الامصار جزء ١١ وتم والحمد لله وطبعنا له أيضا كتاب الأحكام فى الأصول جزء ٨ وهما من أنفس الكتب التى طبعت وأبرزت للناس

(٣) لأنه من عبودية الرق لأن أهل مكة لما رأوا شيبة مع عمه المطلب حين قدم به من المدينة وكان نشأ بها ورأوا لونه متغيراً بسبب الشمس ظنوه عبداً للمطلب فسموه بذلك .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ ، قَالَ لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ لَتُطِيعَانِي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ (١) إِيلٍ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ وَلأَفْعَلَنَّ يُخَوِّفُهُمَا سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتاً ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتاً ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ (جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ شُرَكَاءُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ (لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً) قَالَ أَشْفَقَا (٢) أَنْ لاَ يَكُونَ إِنْسَاناً وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا .

فيه مسائل : الأولى تحريم كل اسم معبد لغير الله ، الثانية تفسير الآية ، الثالثة أن هذا الشرك فى مجرد تسمية وان لم تقصد حقيقتها ، الرابعة أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم ، الخامسة ذكر السلف الفرق بين الشرك فى الطاعة والشرك فى العبادة .

---

(١) على وزن ليم ذكر الأوعل

(٢) أى خافا أن لا يكون الولد انساناً

(بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى) (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) الْآيَةَ (١)

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ يُشْرِكُونَ وَعَنْهُ سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ ۞ وَعَنِ الْأَعْمَشِ يَدْخُلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا ۞

فيه مسائل : الاولى إثبات الاسماء ، الثانية كونها حسنى الثالثة الأمر بدعائه بها الرابعة ترك من اعرض من الجاهلين الملحدين ، الخامسة تفسير الالحاد فيها ، السادسة الوعيد لمن ألحد ۞

---

(١) قال شمس الدين ابن قيم رحمه الله تعالى : حقيقة الالحاد فى اسماء الله تعالى الميل بالاشراك والتعطيل والتكرار ، واسماء الرب تعالى كلها اسماء واوصاف تعرف بها تعالى الى عباده ودلت على كماله جل وعلا ، وقال رحمه الله تعالى فالالحاد إما بجحدها وانكارها وإما بجحد معانيها وتعطيلها وإما بتحريفها عن الصواب واخراجها عن الحق بالتأويلات وإما أن يجعلها اسماء لهذه المخلوقات كالحاد اهل الاتحاد فانهم جعلوها اسماء هذا الكون محمودها ومذمومها حتى قال زعيمهم : هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح عقلا وشرعا وعرفا وبكل اسم مذموم عقلا وشرعا وعرفا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا اه ۞

(بَابُ لَا يُقَالُ السَّلَامُ (١) عَلَى اللهِ)

فى الصَّحيح عَن ابْن مَسْعُود رَضِىَ اللهُ عنْهُ قَالَ (كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فى الصَّلَاة قُلْنَا السَّلَامُ عَلَى الله من عبَاده السَّلَامُ عَلَى الله من عبَاده السَّلَامُ عَلَى فُلَان فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ (٢) .

فيه مسائل : الأولى تفسير السلام ، الثانية أنه تحية ، الثالثة أنها لا تصلح لله ، الرابعة العلة فى ذلك ، الخامسة تعليمهم التحية التى تصلح لله .

(بَابُ قَوْل اللهُمَّ اغْفرْ لى إِنْ شئْتَ اللهُمَّ ارْحَمْنى إِنْ شئْتَ (٣))

فى الصَّحيح عنْ أَبى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَا يَقُولُ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفرْ لى إِنْ شئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنى إِنْ شئْتَ وَلَكنْ ليَعْزم الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرهَ لَهُ ، (٤) وَلمُسْلم .

---

(١) هو اسم من أسماء الله كما فى آخر الحشر ويكون بمعنى السلامة أيضا وعلى كل منهما لا يصح قول السلام على الله .

(٢) أى هذا باب فى حكم قول الانسان : اللهم الخ وافاد المصنف أن حكمه النهى .

(٣) رواه الشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث شقيق ابن سلمة عن عبد الله بن مسعود .

(٤) أى بخلاف المخلوق فانه قد يعطى الشىء وهو كاره ولذلك يقال له إن شئت .

وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ (١) فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ (٢) شَيْءٌ أَعْطَاهُ » .

فيه مسائل : الاولى النهى عن الاستثناء فى الدعاء ، الثانية بيان العلة فى ذلك ، الثالثة قوله ليعزم المسألة ، الرابعة اعظام الرغبة . الخامسة التعليل بهذا الأمر .

(بَابُ لَا يَقُولُ عَبْدِى وَأَمَتِى (٣))

---

(١) من التعظيم أى ليسأل شيئا عظيما (٢) أى لا يعظم عليه . لكمال غناه

(٣) قال فى الشرح : هذه الالفاظ المنهى عنها وان كانت تطلق لغة فالنبى ﷺ نهى عنها تحقيقا للتوحيد وسداً لذرائع الشرك لما فيها من التشريك فى اللفظ لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم . فاذا أطلق على غيره شاركه فى الاسم فنهى عنه لذلك وان لم يقصد بذلك التشريك فى الربوبية التى هى وصف الله تعالى ، وانما المعنى ان هذا ملك له فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار ، فالنهى عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق وتحقيقا للتوحيد وبعداً عن الشرك حتى فى اللفظ ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة لما فيه من تعظيم الرب تعالى وبعده من مشابهة المخلوقين ، فأرشدهم ﷺ الى ما يقوم مقام هذه الألفاظ وهو قوله سيدى ومولاى ، وكذا قوله ولا يقل احدكم عبدى وأمتى لأن العبيد عبيد الله والاماء اماء الله قال الله تعالى (ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبداً) ففى اطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك فى اللفظ فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد ، وارشد الى ان يقول فتاى وفتاتى وغلامى ، وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد فقد

فى الصحيح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّىءْ رَبَّكَ وَلْيَقُلْ سَيِّدِى وَمَوْلَاىَ وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِى وَأَمَتِى وَلْيَقُلْ فَتَاىَ وَفَتَاتِى وَغُلَامِى » .

فيه مسائل : الاولى النهى عن قول عبدى وأمتى ، الثانية لايقول العبد رب أو يقال أطعم ربك ، الثالثة التعليم الاول قول فتاى وفتاتى وغلامى الرابعة تعليم الثانى قول سيدى ومولاى ، الخامسة التنبيه للمراد وهو حقيقة التوحيد حتى فى الالفاظ .

(بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ (١))

بلغ ﷺ امته كل ما فيه لهم نفع ونهاهم عن كل ما فيه نقص فى الدين فلا خير إلا دلهم عليه خصوصا فى تحقيق التوحيد ولا شر الا حذرهم منه صلوات الله وسلامه عليه خصوصا ما يقرب من الشرك لفظا وان لم يقصد بالله التوفيق .

(١) قال فى الشرح : ظاهر الحديث النهى عن رد السائل اذا سأل بالله ، لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل بحسب ماورد فى الكتاب والسنة فيجب إذا سأله السائل ماله فيه حق كبيت المال فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوبا ، وكذلك إذا سأل المحتاج من فى ماله فضل فيجب أن يعطيه على حسب حاله ومسألته خصوصا إذا سأل من لافضل عنده فيستحب ان يعطيه على قدر حال المسئول مالا يضر به ولا يضر عائلته ، وان كان مضطرا وجب أن يعطيه مايدفع ضرورته . ومقام الانفاق من أشرف مقامات الدين

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ سَأَلَ

وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود وتخلق بقوة وداعى الايمان وضدهما من البخل والشح فالأول محمود فى الكتاب والسنة والثانى مذموم فيها وقد حث الله تعالى عباده على الانفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من الطيبات ما كسبتم) إلى قوله : (والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) • وقال تعالى : (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وذلك الانفاق من خصال البر المذكورة فى قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين) الآية . فذكره بعد ذكر أصول الايمان وقبل ذكر الصلاة وذلك ـ والله اعلم ـ لتعدى نفعه ، وذكره تعالى فى الأعمال التى أمر بها عباده وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم . قال تعالى : (أن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات) إلى قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الآية وكان النبى ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء نصحا للأمة وحثا لهم على ما ينفعهم عاجلا وآجلا ، وقد اثنى الله سبحانه على الانصار رضى الله عنهم بالايثار فقال الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) والايثار من أفضل خصال المؤمن كما تفيده هذه الآية الكريمة ، وقد قال تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه) إلى قوله : (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) والآيات والأحاديث فى فضل الصدقة كثيرة جداً ومن كان سعيه للآخرة رغب فى هذا ورغب وبالله التوفيق •

بالله فأعطوه ومن استعاذ بالله (١) فأعيذوه ومن دعاكم (٢) فأجيبوه ومن صنع (٣) إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » (٤) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

---

(١) أى من استجار بالله فاجيروه

(٢) هو من الدعوة إلى الطعام وفى الحديث الصحيح « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وهذا من حق المسلم على المسلم كما فى حديث آخر .

(٣) يدل له قوله « من أحسن إليكم فاحسنوا إليه »

(٤) قوله « من دعاكم فاجيبوه » هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض إجابة دعوة المسلم وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين . وقوله « ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه » ندبهم ﷺ إلى المكافئة على المعروف فان المكافئة على المعروف من المروءة التى يحبها الله ورسوله كما دل عليه هذا الحديث ، ولا يهمل المكافئة على المعروف إلا اللئام من الناس وبعضهم اللئام يكافىء على الإحسان بالإساءة كما يقع ذلك كثيرا من بعضهم نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، بخلاف حال أهل التقوى والايمان فانهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه كما قال تعالى : (ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون) (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقال تعالى : (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا) الآية . وهم الذين سبقت لهم من الله

فيه مسائل : الأولى اعادة من استعاذ بالله ، الثانية اعطاء من سأل بالله الثالثة اجابة الدعوة ، الرابعة المكافأة على الصنيعة ، الخامسة أن الدعاء مكافأة لمن لا يقدر إلا عليه ، السادسة قوله حتى تكافئوه ترون أنكم قد كافأتموه .

(بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الْجَنَّةَ (١))

عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا

تعالى السعادة وقوله : « فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له » ارشدهم ﷺ الى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف فيدعو له على حسب معروفه ، وقوله « تروا » بضم التاء اى تظنوا « انكم كافأتموه » ويحتمل انها مفتوحة بمعنى تعلموا ويؤيده ما في سنن ابي داود من حديث ابن عمر حتى تعلموا فتعين الثاني للتصريح فيه وفيه من سألكم بالله فأجيبوه ، اى الى ما سأل فيكون بمعنى اعطوه وعند ابي داود في رواية أبي تميلة عن ابن عباس من سألكم بوجه الله فاعطوه وفي رواية عبد الله الفواريري لهذا الحديث « ومن سألكم بالله » كما في حديث ابن عمر (١) حديث الباب من جملة الادلة المتواترة في الكتاب والسنة على اثبات الوجه لله تعالى ، فانه صفة كمال وسلبه غاية النقص وتشبيهه بالناقصات كسلبهم جميع الصفات او بعضها فوقعوا في اعظم مما فروا منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وطريقة اهل السنة والجماعة سلفا وخلفا الايمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته فيثبتون له ما اثبته لنفسه في كتابه واثبته له رسول الله ﷺ وينفون عنه مشابهة المخلوق فكما أن ذات الرب لا تشبه الذوات فصفاته كذلك لا تشبه الصفات فمن نفاها فقد سلبه الكمال .

الجنة ، رواه أبو داود .

فيه مسائل : الأولى النهى عن أن يسأل بوجه الله الا غاية المطالب ، الثانية اثبات صفة الوجه .

(بَابُ مَا جَاءَ فِى اللَّوِّ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى (١))

(يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا) (٢)

وَقَوْلِهِ (الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) (٣)

---

(١) أدخل المؤلف رحمه الله تعالى اداة التعريف على لفظ لو وهى هنا لا تفيد تعريفا ، وغرض المصنف رحمه الله يبين ما ورد فى لفظ « لو » من النهى عنه عند حصول الأمور المكروهة كالبلايا والمصائب اذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والاسى على مافات ، لا يمكن استدراكه فالذى ينبغى ويجب أن يسلم لقدر الله ويقوم بحق العبودية الواجبة عليه وهو الصبر على ما أصابه مما يكره .

(٢) قال هذا بعض المنافقين يوم وقعة أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم من ذلك اليوم .

(٣) قال الحافظ ابن كثير : أى لو سمعوا فى مشاورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى : (قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) أى اذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغى لكم ان لا تموتوا والموت لابد آت اليكم ولو كنتم فى بروج مشيدة فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ، قال مجاهد عن جابر بن عبدالله : نزلت هذه الآية فى ـ عبدالله بن ابى ـ يعنى انه هو الذى قال ذلك .

وَفى الصَّحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنَّ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » (١) *

فيه مسائل : الأولى تفسير الآيتين فى آل عمران ، الثانية النهى الصريح عن قول «لو» إذا أصابك شىء ، الثالثة تقرير المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان الرابعة الارشاد إلى الكلام الحسن ، الخامسة الأمر بالحرص على ما ينفعك والاستعانة بالله ، السادسة النهى عن ضد ذلك وهو العجز *

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه مطولا واختصره المصنف ، وفى الحديث ارشاد الرسول ﷺ أمته حيث إذا أصاب أحدهم مكروه فلا يقل : لو انى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل أى هذا قدر الله والواجب التسليم للقدر والرضى به واحتساب الثواب عليه وينبغى له أن يحرص على فعل الأسباب التى تنفع العبد فى دنياه وآخرته مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد فى حال فعله السبب مستعينا بالله وحده غنى عن كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه ويكون اعتماده على الله *

﴿ بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ (١) ﴾

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ » صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ ».

فيه مسائل : الأولى النهى عن سب الريح ، الثانية الارشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الانسان مايكره ، الثالثة الارشاد إلى أنها مأمورة ، الرابعة أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر

﴿ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴾ (يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) الآيَةَ ، وَقَوْلِهِ : (الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) الآيَةَ .

---

(١) انما نهى عن سبه الريح لأنها انما تهب عن إيجاد الله تعالى وخلقه لها وأمره لأنه هو الذى أوجدها وأمرها فسبتها مسبة للفاعل الحقيق وهو الله جل ذكره ، ولا يفعل السب إلا أهل الجهل بالله ودينه فارشد النبى أمته أن يقولوا كذا عند هبوب الريح والله أعلم .

قال ابن القيم فى الآية الأولى : فسر هذا الظن بانه سبحانه لا ينصر رسوله وان أمره سيضمحل (١) وفسر اصابهم بظنهم ان ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بانكار الحكمة وإنكار القدر وانكار أن يتم أمر رسوله ﷺ وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذى ظن المنافقون والمشركون فى سورة الفتح وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق وما يليق به سبحانه بحكمته وحمده ووعده الصادق فمن ظن أنه يديل (٢) الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل (٣) معها الحق أن أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره أن أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يخص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا وليتب إلى الله وليستغفره (٤) ومن ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم .

---

(١) أى يذهب ويتلاشى (٢) أى يغلب (٣) أى تغليبا

(٤) فى النسخة المخطية من ظنه باسقاط الواو وعليها يكون (من) فاعل يستغفر وهو الصواب فيما يظهر لنا .

فان تج منها تنج من ذى عظيمة (١) والا فانى لا إخالك ناجيا (٢)

فيه مسائل ، الأولى تفسير آية آل عمران . الثانية تفسير آية الفتح الثالثة الأخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر . الرابعة أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

(بَابُ مَا جَاءَ فِى مُنْكِرِى القَدَرِ (٣))

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَالَّذِى نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِىِّ ﷺ « الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

---

(١) أى من أمر ذى مصيبة عظيمة (٢) هو بكسر الهمزة أى أظنك

(٣) أى هذا باب فى بيان ماورد فى منكرى القدر من الوعيد الشديد وغيره وقد وردت أحاديث كثيرة وآثار فى ذم القدرية وانهم مجوس هذه الأمة ، روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « القدرية مجوس هذه الأمة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم » .

وعن عمر مولى غفراء عن رجل من الأنصار عن حذيفة - وهو ابن اليمان رضى الله عنهما - قال قال رسول الله ﷺ : لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم هم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحق بالدجال » .

وَرُسُلِه وَالْيَوْمِ الآخِر وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) *

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِت أَنَّهُ قَالَ لابْنِه يَابُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ (٢) الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه كما قال المؤلف ، ورواه أبو داود والترمذى . والنسائى وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال : كان اول من تكلم فى القدر بالبصرة معبد الجهنى فانطلقت انا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين او معتمرين فقلنا . لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي فظننت أن صاحبي سيكل الكلام الى فقلت ابا عبد الرحمن أنه قد ظهر قبلنا اناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم يزعمون ان لا قدر وان الامر انف فقال اذا لقيت أولئك فاخبرهم أنى منهم برىء وأنهم منى براء والذى يحلف به عبدالله بن عمر لو ان لاحدهم مثل أحد ذهباً فانفقه فى سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال حدثنى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب » الحديث الخ وفيه « وتؤمن بالقدر خيره وشره » فبان فى الحديث ان الايمان بالقدر من اصول الايمان الستة المذكورة فى الحديث فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك اصلا من اصول الدين وجحده والله أعلم .

(٢) أى حلاوة الايمان كما فى حديث آخر .

ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول من مات على غير هذا فليس مني » (١) وفي رواية لأحمد أن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفي رواية لابن وهب قال قال رسول الله ﷺ فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار ، وفي المسند (٢) والسنن عن ابي الديلمي « قال أتيت أبي ابن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الامام احمد ، وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى واحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة ويشهد له قوله جل ذكره وتعالت اسماؤه : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما) فهذه الكلية داخل فيها ادراك الجزئيات .

(٢) أي مسند احمد وسنن أبي داود .

مِنْ قَلْبِي فَقَالَ لَوْ انْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَالَ فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ *

فيه مسائل : الأولى بيان فرض الايمان بالقدر ، الثانية بيان كيفية الايمان الثالثة احباط عمل من لم يؤمن به ، الرابعة الاخبار أن أحدا لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به ، الخامسة ذكر أول ما خلق الله ، السادسة أنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة إلى قيام الساعة ، السابعة براءته ﷺ ممن لم يؤمن به ، الثامنة عادة السلف فى إزالة الشبهة بسؤال العلماء ، التاسعة أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط *

(بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ (١))

---

(١) أى من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه ، والمصور هو الذى يصور الصور متشبهاً بالخالق تعالى وذلك جهل عظيم *

قال الشارح رحمه الله : وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهى المضاهاة بخلق الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالَى ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ(١) وَلْيَخْلُقُوا

لأن الله تعالى له الخلق والأمر وهو رب كل شيء ومليكه وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة كما قال تعالى : (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من انسان وبهيمة صار مضاهيا لخلق الله فصار ما صوره عذابا له يوم القيامة وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فكان أشد الناس عذابا لأن ذنبه من أكبر الذنوب ، فاذا كان هذا فيمن صور صورة على مثال ماخلقه الله تعالى من الحيوان فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه وصرف له شيئا من العبادة التي خلق الله الخلق ليعبدوه وحده بما لا يستحق غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه فتسوية المخلوق بالخالق يصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه وجعله شريكا له فيما اختص به تعالى وتقدس هو أعظم ذنب عصى الله تعالى به ولهذا ارسل رسله وانزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه واخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى ، فنجى تعالى رسله ومن اطاعهم واهلك من جحد التوحيد واستمر على الشرك والتنديد فما أعظمه من ذنب (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق

(١) الذرة - بفتح المعجمة وتشديد الراء - واحدة الذر وهو صغار

حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً ، أَخْرَجَاهُ . وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ(١) بِخَلْقِ اللهِ ، وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ » ، وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » ، وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ قَالَ لِي عَلِيٌّ أَلَا

النمل . ويراد بها مايرى فى شعاع الشمس الداخل فى النافذة ، والمراد بالحبة حبة القمح بقرينة ذكر الشعير أو الحبة أعم ، والغرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك .

(١) أى يشابهون وإذا كان المصور أظلم الناس فما بالك بولى الشيطان الذى يدعو الناس إلى عبادته وقاتلا مهما ضاق بكم الحال فاستغيثوا بى أغثكم أينما كنتم فى مشارق الأرض ومغاربها .

مريدى تمسك بى وكن واثقا انجيك فى الدنيا ويوم القيامة

وهذا معنى قوله تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا ودعان) وقوله (ادعونى أستجب لكم) (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الى (مهتدون) . وقال الامام الحجة شهاب الدين

الحافظ احمد ابن حجر فى كتابه ـ فتح البارى ـ وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذابا مع قوله تعالى : (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) فانه يقتضى أن يكون المصور أشد عذابا من آل فرعون وأجاب الطبرى بأن المراد هنا من يصور ما يعبدون من دون الله وهو عارف بذلك قاصدا له فانه يكفر بذلك فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون . وأما من لا يقصد ذلك فانه يكون عاصيا بتصويره فقط ، وأجاب غيره بان الرواية باثبات من ثابتة وبحذفها محمولة عليها وإذا كان من يفعل التصوير من أشد الناس عذابا كان مشتركا مع غيره وليس فى الآية ما يقتضى اختصاص آل فرعون بأشد العذاب بل هم فى العذاب الأشد فكذلك غيرهم يجوز أن يكون فى العذاب الأشد ، وقوى الطحاوى ذلك بما أخرجه من وجه آخر عن ابن مسعود رفعه « أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبى وأمام ضلالة وممثل من الممثلين » وكذا أخرجه احمد ، وقد وقع بعض هذه الزيادة فى رواية ابن أبى عمر التى أشرت اليها فاقتصر على المصور وعلى من قتله نبى ، وأخرج الطحاوى ايضا من حديث عائشة مرفوعا « أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل هجا رجلا فهجا القبيلة بأسرها » قال الطحاوى فكل واحد من هؤلاء يشترك مع الآخر فى شدة العذاب ، وقال أبو الوليد بن رشد فى مختصر مشكل الطحاوى ما حاصله أن الوعيد بهذه الصيغة أن ورد فى حق كافر فلا اشكال فيه لأنه يكون مشتركا فى ذلك مع آل فرعون ويكون فيه دلالة على عظم كفر المذكور وان ورد فى حق عاص فيكون أشد عذابا من غيره من العصاة ويكون ذلك دالا على عظم المعصية المذكورة ، وأجاب القرطبى فى المفهم بان الناس الذين أضيف اليهم أشد لا يراد بهم كل الناس بل بعضهم وهم من يشارك فى المعنى المتوعد عليه بالعذاب فقرعون أشد الناس الذين

ادعوا الالهية عذابا ومن يقتدى به فى ضلالة كفره اشد عذابا ممن يقتدى به فى ضلالة فسقه ومن صور صورة ذات روح للعبادة اشدعذابا ممن يصورها لا للعبادة ، واستشكل ظاهر الحديث ايضا بابليس وبابن آدم الذى سن القتل واجيب بأنه فى ابليس واضح ويجاب بأن المراد بالناس من ينسب الى آدم وأما فى ابن آدم فأجيب بأن الثابت فى حقه ان عليه مثل أوزار من يقتل ظلما ولا يمتنع ان يشاركه فى مثل تعذيبه من ابتدأ الزنا مثلا فان عليه مثل اوزار من يزنى بعده لانه اول من سن ذلك ولعل عدد الزناة اكثر من القاتلين . قال النووى قال العلماء تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهى من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد وسواء صنعه لما يمتهن أم لغيره فصنعه حرام بكل حال وسواء كان فى ثوب او بساط او درهم او دينار او فلس أو اناء أو حائط او غيرها فاما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام (قلت) :ويؤيد التعميم فيما له ظل وفيما لا ظل له ما اخرجه احمد من حديث على أن النبى ﷺ قال ايكم ينطلق الى المدينة فلا يدع بها وثنا الا كسره ولا صورة الا لطخها اى طمسها الحديث وفيه من عاد الى صنعه شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ وقال الخطابى :انما عظمت عقوبة المصور لان الصور كانت تعبد من دون الله ولان النظر اليها يفتن وبعض النفوس اليها تميل قال والمراد بالمصور هنا التى لها روح وقيل يفرق بين العذاب والعقاب فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول او فعل كالعتب والانكار والعقاب يختص بالفعل فلا يلزم من كون المصور أشد الناس عذابا ان يكون اشد الناس عقوبة هكذا ذكره الشريف المرتضى فى الغرور وتعقب بالآية المشار اليها وعليها انبنى الاشكال ولم يكن هو عرج عليها فلهذا ارتضى التفرقة والله أعلم . واستدل به ابو على الفارسى فى التذكرة

أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ (١) .

فيه مسائل : الأولى التغليظ الشديد فى المصورين ، الثانية التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله : (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى) الثالثة التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : (فليخلقوا ذرة أو شعيرة) ، الرابعة التصريح بأنهم أشد الناس عذابا ، الخامسة أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها فى جهنم . السادسة أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح ، السابعة الأمر بطمسها اذا وجدت .

على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليه وانهم المراد بقوله « المصورون » أى الذين يعتقدون أن لله صورة وتعقب بالحديث الذى بعده فى الباب بلفظ أن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون ، وبحديث عائشة الآتى بعد بابين بلفظ ان اصحاب هذه الصور يعذبون وغير ذلك ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره ، وخص بعضهم الوعيد الشديد بمن صور قاصداً أن يضاهى فانه يصير بذلك القصد كافراً وسيأتى فى باب ما وطىء من التصاوير بلفظ اشد الناس عذابا الذين يضاهون بخلق الله تعالى وأما من عداه فيحرم عليه ويأثم لكن إثمه دون إثم المضاهى (قلت) وأشد منه من يصور ما يعبد من دون الله كما تقدم ، وذكر القرطبى ان اهل الجاهلية كانوا يعملون الاصنام من كل شىء حتى ان بعضهم عمل صنمه من عجوة ثم جاع فأكله .

(١) قال العلامة ابن القيم رحمه الله . ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للاخر مناقضا له بحيث لا يجتمعان

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها واليها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله ، ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد السرج عليها ، ونهى ان تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها اعياداً ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد او اكثر ، وامر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن ابى الهياج فذكر حديث الباب وحديث ثمامة ابن شفى وهو عند مسلم ايضا ، كنا عند فضالة بن عبيد بأرض الروم برذرذش فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ، وهؤلاء يبالغون فى مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تجصيص القبر وان يقعد عليه وأن يبنى عليه ، ونهى عن الكتابة عليها ، كما روى ابو داود فى سننه عن جابر ان رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور وان يكتب عليها قال الترمذى : حديث حسن صحيح . وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روى ابو داود عن جابر ايضا نهى أن يجصص القبر او يكتب عليه او يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والاحجار . قال ابراهيم النخعى : كانوا يكرهون الآجر على قبورهم ، والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور المتخذ نها اعيادا الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما امر به رسول الله ﷺ ، محادون لما جاء به ، واعظم من ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من اصحاب احمد وغيره

﴿ باب ما جاء فى كثرة الحلف وقول الله تعالى (واحفظوا أيمانكم (١)) ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب (٢) أخرجاه » وعن

بتحريمه . قال ابو محمد المقدسى : ولو ابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه افراطا فى تعظيم القبور أشبه تعظيم الاصنام قال : ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر ولان النبى ﷺ قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » متفق عليه ولان تجصيص القبور يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها والتقرب اليها ، وقد رأينا ان ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الاموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها (١) الايمان جمع يمين ، أمرهم الله تبارك وتعالى بحفظ الايمان وعدم المسارعة اليها او الى الحنث بها ، وفيه النهى عن كثرة الحلف والنكث مالم يكن على فعل بر أو إصلاح بين الناس لما رواه البخارى . ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ، أن رسول الله ﷺ قال إنى والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى واتيت الذى هو خير »

(٢) ـ الحلف بفتح المهملة وكسر اللام ـ اى اليمين الكاذبة ، وقوله « منفقة » ـ بفتح الميم والفاء بينهما نون ساكنة ـ مفعلة من النفاق ـ بفتح النون ـ وهو الرواج ضد الكساد ، والسلعة ـ بكسر السين ـ المتاع ، وقوله ممحقة ـ بحاء مهملة وقاف وزن الأول ، والمعنى والله أعلم : ان الحلف الكاذب وإن زاد فى المال فانه يمحق البركة من البيع لأن الثمن وان زاد لكن محق البركة يقضى الى اضمحلال الزيادة »

سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَشَيْمِطُ زَانٍ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ . وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ (١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ » وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ

---

(١) الأشيمط مصغر أشمط وهو الذى وخطه الشيب وصغر تحقيراً له ، وذلك لأن داعى المعصية ضعف فى حقه فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية والفجور وعدم خوفه من الله ، وضعف الداعى الى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه بخلاف الشاب فان قوة داعى الشهوة منه قد تغلب مع خوفه من الله وقد يرجع على نفسه بالندم ولومها على المعصية فينتهى ويرجع . وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه الى الكبر لأن الداعى إلى الكبر فى الغالب كثرة المال والنعم والرياسة ، والعائل الفقير لا داعى له الى أن يستكبر فاستكباره مع عدم الداعى اليه يدل على أن الكبر طبيعة له كامن فى قلبه فعظمت عقوبته لعدم الداعى الى هذا الخلق الذميم الذى هو من أكبر المعاصى . قوله : « ورجل جعل الله بضاعته » : بنصب الاسم الشريف أى الحلف به جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحداً فتوحيده ضعيف وأعماله ضعيفة بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصى العظيمة على قلة الداعى اليها نسأل الله السلامة والعافية . ونعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه .

اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ (١) » .

---

(١) الحديث اخرجه مسلم فى صحيحه ، واخرجه البخارى بلفظ «خيركم» ورواه ابو داود . والترمذى ، قوله « خير امتى قرنى ثم الذين يلونهم » الخ يعنى الصحابة ثم التابعين ، قال العلامة ابن الاثير فى النهاية : القرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط فى اعمار اهل كل زمان مأخوذ من الاقتران وكأنه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن اربعون سنة . وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة . وقيل هو اطلاق من الزمان ، وهو مصدر قرن يقرن اه قال فى الشرح قوله « خير أمتى قرنى » لفضيلة اهل ذلك القرن فى العلم والايمان والاعمال الصالحة التى يتنافس فيها المتنافسون ويتفاضل فيها العاملون ، فغلب الخير فيها وكثر اهله وقل الشر فيها واهله واعتز فيها الاسلام والايمان ، وكثر فيها العلم والعلماء ، ثم الذين يلونهم فضلوا على من بعدهم لظهور الاسلام فيهم وكثرة الداعى اليه والراغب فيه والقائم به . وما ظهر فيه من البدع انكر واستعظم وازيل كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة ، فهذه البدع وان كانت قد ظهرت فاهلها فى غاية الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم ولم يتب قوله : « فلا ادرى اذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ، هذا شك من راوى الحديث

وَفيه عَن ابْن مَسْعُود أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ «خَيْرُ النَّاس قَرْنِى ثُمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذين يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » قَالَ ابْرَاهِيمُ كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ (١) .

عمران بن حصين رضى الله عنه . والمشهور فى الروايات ان القرون المفضلة ثلاثة الثالث دون الاولين فى الفضل لكثرة البدع فيـــه ، لكن العلماء متوافرون والاسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم ، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء فى الدين وكثرة الاهواء فقال : ان بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق وذلك لقلة دينهم وضعف اسلامهم ، قوله : « ويخونون ولا يؤتمنون » يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو اكثرهم « وينذرون ولا يوفون » أى لا يؤدون ما وجب عليهم ، فظهور هذه الاعمال الذميمة يدل على ضعف اسلامهم وعدم إيمانهم ، قوله : « ويظهر فيهم السمن » لرغبتهم فى الدنيا ونيل شهواتهم والتنعم بها وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها . وفى حديث انس « لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم » قال أنس : سمعته من نبيكم ﷺ ، فما زال الشر يزيد فى الامة حتى ظهر الشرك والبدع فى كثير منهم ممن ينتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف « قلت بل قد دعوا الى الشرك والضلال والبدع وصنفوا فى ذلك نظما ونثرا فنعوذ بالله من موجبات غضبه .

(١) لما كان الناس فى ذلك العصر على غاية من التقوى وقوة الايمان ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كانوا

فيه مسائل الأولى الوصية بحفظ الايمان : الثانية الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة ، الثالثة الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشترى الا بيمينه . الرابعة التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى (١). الخامسة ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون ، السادسة ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث ، السابعة أن ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون الثامنة كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

(بَابُ مَا جَاءَ فى ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ) وَقَوْلِهِ (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ اِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا(٢) الآيَةَ .

حريصين على فعل كل ما ينفع واجتناب كل ما يضر ، ولا يخفى على العاقل ان الطفل اذا نشأ على حب عمل الخير وكراهة فعل الشر ينتظر منه فى المستقبل ما ينفع أمته ويرفعها الى أوج الكمال ، وفيه تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضر بصالحهم والله أعلم .

(١) اى مع قلة داعى الشهرة فى الاشتط وداعى التكبر فى الفقير

(٢) قال حافظ الشام علامة عصره ابن كثير فى تفسيره : هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان المؤكدة ولهذا قال(ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) ولا تعارض بين هذه وبين قوله :(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم)الآية وبين قوله تعالى:(ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم) أى لا تتركوها بلا كفارة وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه فى الصحيحين أنه عليه السلام قال: «إنى والله ان يشاء الله الا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذى هو خير منها وتحللتها وفى »

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِذَا أَمَّرَ أَمِيراً عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً ثُمَّ قَالَ اغْزُوا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ ـ أَوْ خِلَالٍ ـ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ

رواية « وكفرت عن يمينى » لا تعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة ههنا وهى قوله : (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة فى العهود والمواثيق لا الأيمان التى هى واردة على حيث أو منع ولهذا قال مجاهد فى قوله : (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) يعنى الحلف أى حلف الجاهلية ، ويؤيده ماروى الامام أحمد حدثنا عبدالله بن محمد هو ابن أبى شيبة حدثنا ابن نمير . وأبو أسامة عن زكريا ـ هو بن أبى زائدة ـ عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله ﷺ : « لا حلف فى الاسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية فانه لا يزيده الاسلام إلا شدة » وكذا رواه مسلم عن ابن أبى شيبة به ومعناه ان الاسلام لا يحتاج معه الى الحلف الذى كان أهل الجاهلية يفعلونه فان فى التمسك بالاسلام كفاية عما كانوا فيه والله أعلم

وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا» (١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى الجهاد، وهاك بيان كلماته اللغوية، قوله «إذا أمر» أى جعله أميراً، والسرية هى قطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع اليه وحصرها بعضهم بأربعمائة فارس أو نحو من ذلك، وقوله

« ولا تغلوا » من الغلول وهو الاخذ من الغنيمة قبل القسمة ، وقوله « ولا تغدروا » بكسر الدال المهملة ، « ولا تمثلوا » أى ولا تشوهوا القتلى بقطع شىء من اجسادهم كقطع أنفه وأذنه والعبث به ، والوليد الصبى ، وقوله « ثم ادعهم الى الاسلام » قال النووى فى شرحه : هكذا هو فى جميع نسخ صحيح مسلم « ثم ادعهم » قال القاضى عياض رضى الله تعالى عنه : صواب الرواية ادعهم باسقاط « ثم » وقد جاء باسقاطه على الصواب فى كتاب ابى عبيد وفى سنن ابى داود وغيرهما لانه تفسير للخصال الثلاث وليست غيرها ، وقال المازرى : ليست ثم هنا زائدة بل دخلت لاستفتاح الكلام والأخذ اه ، وقوله « الى دار المهاجرين ، وهى المدينة المنورة ، وكان فى اول الامر وجوب الهجرة الى المدينة على كل من دخل فى الاسلام . وقوله « فان ابوا ان يتحولوا » اى فان امتنعوا بعد ان أسلموا من الهجرة ولم يجاهدوا لا يعطون من الخمس ولا من الفىء شيئا ، قال النووى رحمه الله تعالى : انهم اذا اسلموا استحب لهم أن يهاجروا الى المدينة فان فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم فى استحقاق الفىء والغنيمة وغير ذلك والا فهم اعراب كسائر اعراب المسلمين الساكنين فى البادية من غير هجرة ولا غزو فتجرى عليهم أحكام الاسلام ولا حق لهم فى الغنيمه والفىء وانما يكون لهم نصيب من الزكاة ان كانوا بصفة استحقاقها ، قال الشافعى : الصدقات للمساكين ونحوهم ممن لا حق له فى الفىء ـ والفىء للاجناد ـ قال : ولا يعطى اهل الفىء من الصدقات ولا أهل الصدقات من الفىء واحتج بهذا الحديث ، وقال مالك . وأبو حنيفة : المالان سواء ويجوز صرف كل واحد منهما الى النوعين ، وقال أبو عبيد : هذا الحديث منسوخ قال وانما كان هذا الحكم فى أول الاسلام لمن لم يهاجر ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى

فيه مسائل : الأولى الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وبين ذمة المسلمين الثانية بسم الله إلارشاد الى أقل الأمرين خطرا ، الثالثة قولوا اغزوا بالله فى سبيل الله ، الرابعة قوله قاتلوا من كفر الله ، الخامسة قوله استعن بالله وقاتلهم ، السادسة الفرق بين حكم الله وحكم العلماء،السابعةفى كون الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لا يدرى أيوافق حكم الله أم لا .

بعض) وهذا الذى ادعاه أبو عبيد لا يسلم له اه ، والجزية هى المال الذى يعقد الكتابى عليه الذمة وهى فعلة من الجزاء كأنها جزت عن قتله ، وفيه دليل لمالك والاوزاعى ومن وافقهما فى جواز أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان او عجميا كتابيا أو مجوسيا او غيرهما ، وقال ابو حنيفةرضىالله تعالى عنه ، تؤخذ الجزية من جميع الكفار إلا مشركى العرب ومجوسيهم وقال الشافعى : لا يقبل إلا من اهل الكتاب والمجوس عربا كانوا أو عجما ويحتج بمفهوم أية الجزية وبحديث « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » لأن اسم المشرك يطلق على اهل الكتاب وغيرهم وكان تخصيصهم معلوما عند الصحابة واختلفوا فى قدر الجزية تعلم من مواضعها فى كتب الفقه، وقوله : « ذمة الله » قال العلماء : الذمة هنا العهد . وقوله : « تخفروا » هو بضم التاء يقال اخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرته امنته وحميته ، قالوا : وهذا نهى تنزيه اى لا تجعل لهم ذمة الله فانه قد ينقصها من لا يعرف حقها وينتهك حرمتها بعض العرب وسواد الجيش ، وقوله : « واذا حاصرت اهل حصن فارادوك ان تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله » الخ قال النووى رحمه الله تعالى : هذا النهى ايضا على التنزيه والاحتياط ، وفيه حجة لمن يقول : ليس كل مجتهد مصيبا بل المصيب واحد وهو الموافق لحكم الله تعالى فى نفس الأمر ، والله أعلم .

(بَابُ مَاجَاءَ فى الاقْسَام عَلَى الله (١))

عَنْ جُنْدُب بْن عَبْدالله رَضى اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ « قَالَ رَجُلٌ وَالله لَا يَغْفرُ اللهُ لفُلَان فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ ذَا الَّذى يَتَأَلَّى (٢) عَلَى أَنْ لَا أَغْفرَ لفُلَان فَانّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ

---

(١) أى هذا باب ماجاء فى الانسان يقسم ويحلف على الله تعالى من الأحاديث

(٢) قوله « يتألى » يحلف ويحكم على الله وهو من الالية - بتشديد الياء المثناة من فوق - اى اليمين يقال : آلى يولى إيلاء وتألى يتألى تأليا والاسم الالية ، قال فى الشرح : وصح من حديث أبى هريرة قال البغوى فى شرح السنة وساق بالسند إلى عكرمة بن عمار قال : دخلت مسجد المدينة فنادانى شيخ قال : بايمانى تعال وما أعرفه ، قال : لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبداً ولا يدخلك الجنة ، قلت : ومن انت يرحمك الله ؟ قال أبو هريرة ، فقلت : وان هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه قال . فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : أن رجلين كانا فى بنى اسرائيل متحابين أحدهما مجتهد فى العبادة والآخر كأنه يقول مذنب فجعل يقول : أقصر عما انت فيه . قال فيقول خلنى وربى ، قال : فوجده يوماً على ذنب استعظمه ، فقال : اقصر ، فقال : خلنى وربى أبعثت على رقيبا ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبداً قال : فبعث الله اليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب : ادخل الجنة برحمتى ، وقال للآخر : أتستطيع أن تحظر على عبدى رحمتى ؟ قال لا يارب ، قال : اذهبوا

عَمَلَكَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ : وَفِي حَدِيثٍ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ (١) دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ »

فيه مسائل : الأولى التحذير من التألى على الله ، الثانية كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك (٢) نعله ، الثالثة أن الجنة مثل ذلك ، الرابعة فيه شاهد لقوله إن الرجل ليتكلم بالكلمة إلى آخره ، الخامسة إن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه »

به إلى النار ، قال أبو هريرة : والذى نفسى بيده تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته ، ورواه أبو داود فى سننه وهذا لفظه عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول : كان رجلان من بنى اسرائيل متواخين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد فى العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : اقصر ، فوجده يوما على ذنب فقال له : اقصر ، فقال : خلنى وربى أبعثت على رقيبا ؟ قال والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة ، فقبضت أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين ، فقال لهذا المجتهد : أكنت بى عالما أو كنت على ما فى يدى قادرا ؟ فقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة وقال الآخر اذهبوا به إلى النار ، قوله فى حديث أبى هريرة أن القائل رجل عابد يشير إلى قوله فى هذا الحديث أحدهما مجتهد فى العبادة ، وفى هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام كما فى حديث معاذ « قلت يارسول الله وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » والله أعلم »

(١) أى أهلكت (٢) هو سير النعل وهذا كناية عن شدة القرب »

(بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ)

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ جَاءَ اعْرَابِيٌّ الَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ نَهِكَتِ الْأَنْفُسُ وَجَاعَ الْعِيَالُ وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ (١) وَذُكِرَ

---

(١) الاستشفاع طلب الشفاعة ، ولا يستشفع بالله على أحد لأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه والخير كله بيده لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا راد لما قضى ، وما كان الله ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، والخلق وما في ايديهم ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء ، وقوله «نهكت الانفس» بصيغة المجهول اى جهدت وضعفت وقلت. وقوله «حتى عرف ذلك» الاشارة إلى غضب الاصحاب لغضب الرسول ﷺ لما سمع من الاعرابي ذلك ، قال في الشرح: واما الاستشفاع بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد به استجلاب دعائه وليس حاصلا به ﷺ بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل

الحديث رواه أبو داود

بالمطالب الخاصة والعامة كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة « لا تنسنا ياأخي من صالح دعائك » وأما الميت فانما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وفي غير ذلك ، وهذا هو الذي يشرع في حق الميت ، وأما دعاؤه فلم يشرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه والوعيد عليه كما قال تعالى : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة أي ينكره ويعادي من فعله كما في آيات الأحقاف « واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ، فكأنه ميت أو غائب لا يسمع ، لا يستجيب ولا ينفع ولا يضر ، والصحابة رضي الله عنهم لاسيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم انهم نزلوا حاجاتهم بالنبي عليه السلام بعد وفاته حتى أوقات الجدب كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس خرج بالعباس عم النبي عليه الصلاة والسلام فأمره أن يستسقي عمر رضي الله عنه ، والسابقون الأولون بالنبي ﷺ وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت ، لأن المقصود من الحي دعاؤه إذا كان حاضرا فانهم في الحقيقة انما توجهوا الى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع اليه وهم كذلك يدعون ربهم ، فمن تعدى المشروع إلى مالا يشرع ضل وأضل ولو كان دعاء الميت خيرا لكان الصحابة اليه أسبق وعليه أحرص وبهم أليق وبحقه أعلم وأقوم ، فمن تمسك بكتاب الله نجا ومن تركه واعتمد على عقله هلك وبالله التوفيق «

فيه مسائل : الأولى انكاره على من قال نستشفع بالله عليك والثانية تغيره تغير أنه عرف ذلك فى وجوه أصحابه من هذه الكلمه ، الثالثة أنه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله ، الرابعة التنبيه على تفسير سبحان الله الخامسة أن المسلمين يسألونه الاستغاثه .

(بَابُ مَا جَاءَ فى حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيد وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ) (١)

عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ انْطَلَقْتُ فى وَفْدِ بَنِى عَامِرٍ الى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا فَقَالَ السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا فَقَالَ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ (٢)

---

(١) حمايه الشىء صونه عما يتطرق اليه من مكروه أو خلل أو أذى ، وحمى التوحيد صونه عما يشوبه من الأقوال والأعمال التى يضمحل معها التوحيد او ينقص ، وما جاء فى ذلك كثير من السنة الثابتة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، منها ما رواه الترمذى وغيره « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبدالله ورسوله » .

(٢) الحديث رواه أبو داود فى سننه كما قال المصنف . رحمه الله تعالى وقوله : « واعظمنا طولا » اى فضلا وقدرة ، وقوله « ولا يستجرينكم »

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ « أَنَّ نَاسًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ «

فيه مسائل : الأولى تحذيره الناس من الغلو ، الثانية ما ينبغي أن يقول من قيل له أنت سيدنا ، الثالثة قوله لا يستجرينكم الشيطان مع أنهم لم يقولوا إلا الحق ، الرابعة قوله « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي «

أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جريا أي رسولا ووكيلا ، قال صاحب النهاية : وذلك انهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه ، يريد تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كانكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون عن لسانه ، وفي الحديث النهي عن تسمية المخلوق بالسيد ، واختلف العلماء في ذلك قال شمس الدين بن قيم في كتابه بدائع الفوائد — الذي تم طبعه في ادارتنا — : اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ، ونقل عن مالك ، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له يا سيدنا قال : السيد الله تبارك وتعالى ، وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : « قوموا الى سيدكم » وهذا أصح من الحديث الاول ، قال هؤلاء : السيد أحدما يضاف اليه فلا يقال للتميمي سيد كندة ولا يقال للملك سيد البشر . قال : وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم ، وفي هذا نظر فان السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق اهـ

(بَابُ مَا جَاءَ فِى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى)

(وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) الآيَةَ(١)

---

(١) قال الحافظ أبو الفداء عماد الدين ابن كثير فى تفسيره: يقول تبارك وتعالى :(وماقدروا الله حق قدره)أى ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شىء المالك لكل شىء وكل شىء تحت قهره وقدرته قال مجاهد :نزلت فى قريش وقال السدى . ما عظموه حق تعظيمه. وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما :(وماقدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شىء قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره ، وقد ورد أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف قال البخارى: قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدرة) حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :يا محمد انا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول انا الملك فضحك رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجذه تصديقا لقـــول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم

القيامة)» الآية، ورواه البخارى أيضا فى غير هذا الموضع من صحيحه والامام احمد . ومسلم . والترمذى . والنسائى فى التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضى الله عنه بنحوه .

وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله رضى الله عنه قال : « جاء رجل الى النبى ﷺ من أهل الكتاب فقال ياأبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أصبع والسموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع ؟ قال : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) » الى آخر الآية وهكذا رواه البخارى . ومسلم . والنسائى من طرق عن الأعمش به، وقال الإمام احمد: حدثنا حسين بن حسن الأشقر ثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « مر يهودى الى رسول الله ﷺ وهو جالس فقال كيف تقول ياأبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه ؟ ـ وأشار بالسبابة والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه وكل ذلك يشير بأصابعه قال : فأنزل الله عز وجل (وماقدروا الله حق قدره)» الآية وكذا رواه الترمذى فى التفسير عن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى عن محمد بن الصلت عن أبى جعفر عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى مسلم بن صبيح به وقال : حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ثم قال البخارى: حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث ثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول

أنا الملك ابن ملوك الأرض ، تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر البخاري في موضع آخر : حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على أصبع ويكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر ، وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال : حدثنا عفان ثنا حماد ابن سلمة أنا اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآيات ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به ، وقد رواه مسلم . والنسائي . وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم — زاد مسلم . ويعقوب بن عبد الرحمن — كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه ، ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث انه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي ﷺ قال : يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا أبو علي الحنفي ثنا عباد المنقري حدثني محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر

(وماقدروا الله حق قدره) حتى بلغ (سبحانه وتعالى عما يشركون) فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ، ورواه الامام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال صحيح ، وقال الطبراني في المعجم الكبير : حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبي ثنا حسان بن نافع بن صخر عن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكير بن خنيس عن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لنفر من أصحابه رضي الله عنهم « إني قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة فقرأها ﷺ من عند (وما قدروا الله حق قدره) الى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال ﷺ انى سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك » هذا حديث غريب جدا واغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضا حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ : « ان الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبدا لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقن ويعلم كيف افعل بخلقي إذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنونها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعاملوني وقد بينته لهم » وهذا اسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم .

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ (١) مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالمَاءَ عَلَى أُصْبُعٍ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى أُصْبُعٍ فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ » الآيَةَ . وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ « وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ أَنَا اللهُ » وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ (يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالمَاءَ وَالثَّرَى (٢) عَلَى أُصْبُعٍ وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى أُصْبُعٍ) أَخْرَجَاهُ ، وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا « يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ

---

(١) أي عالم من علماء اليهود .

(٢) هو التراب والمراد الأرض ، وذهب النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الإيمان بهذا الحديث ونحوه بلا تحريف ولا إنكار على العليم الحكيم وكذب به الجهمية فحرفوه إلى ما يشتهون .

القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الارضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) وروى عن ابن عباس قال ما السموات السبع والأرضون السبع فى كف الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم .

وقال ابن جرير حدثنى يونس انا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثنى أبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة القيت فى ترس (١)) قال قال ابو ذر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد القيت بين ظهرى (٢) فلاة من الأرض »

وعن ابن مسعود قال بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام

---

(١) بضم المثناة صفحة من فولاذ تحمل لاتقاء الضرب بالسيف .

(٢) أى وسط فلاة وهذا يدل على عظم العرش والكرسى والله هو العالم بشكلهما .

وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِي خُمْسُمِائَةِ عَامٍ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خُمْسُمِائَةِ عَامٍ وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ ابْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ وَلَهُ طُرُقٌ(١) ٭

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خُمْسمِائَةِ سَنَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خُمْسمِائَةِ سَنَةٍ وَكَثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خُمْسمِائَةِ سَنَةٍ وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ

---

(١) قال الذهبي : رواه أبو داود باسناد حسن ورواه الترمذي وقال حسن غريب اه من الشارح ٭

ذَلِكَ وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ ۞

فيه مسائل : الأولى تفسير قوله (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) ، الثانية أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها ، الثالثة أن الحبر لما ذكر ذلك للنبى ﷺ صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك ، الرابعة وقوع الضحك الكثير من رسول الله ﷺ عنده لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم ، الخامسة التصريح بذكر اليدين وأن السموات فى اليد اليمنى والأرضين فى الأخرى ، السادسة التصريح بتسميتها الشمال ، السابعة ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك ، الثامنة قوله كخردلة (١) فى كف أحدهم ، التاسعة عظمة الكرسى (٢) بنسبته إلى السموات العاشرة عظمة العرش بنسبته الى الكرسى ، الحادية عشرة أن العرش غير الكرسى الثانية عشرة كم بين كل سماء إلى سماء ، الثالثة عشرة كم بين السماء السابعة والكرسى وما بين الكرسى والماء ، الرابعة عشرة كم بين الكرسى والماء ، الخامسة عشرة أن العرش فوق الماء ، السادسة عشرة أن الله فوق العرش ، السابعة عشرة كم بين السماء والأرض ، الثامنة عشرة كثف كل سماء خمسمائة سنة ، التاسعة عشرة أن البحر الذى فوق السموات بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة سنة ، والله أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ۞

---

(١) واحدة الخردل وهو حب صغير جداً (٢) أى عظمه

تم كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد والحمد لله

فهرست

كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد

صفحه	
٢	كتاب التوحيد
٣	سرد الآيات القرآنية التى تنص على أفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والاخلاص له
٣	تعريف التوحيد
٣	حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، كنت رديف النبى ﷺ على حمار فقال لى يامعاذ اتدرى ما حق الله على العباد ، الحديث بطوله
٣	ذكر مسائل مستنبطة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية المذكورة فى الباب وهى أربعة وعشرون مسألة
٤	باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب
٤	ذكر ما ورد فى ذلك من الآيات والاحاديث
٥	ايراد مسائل مستنبطة من أحاديث الباب وهى عشرون مسألة
٦	باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب
٦	ذكر ما ورد فى ذلك من الآيات
٦	ايراد حديث حصين بن عبد الرحمن ، فقال أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة فقلت أنا ، الخ الحديث بطوله
٧	بيان فضل لا يستولى ولا يكتوى ولا يتطير وعلى ربه يتوكل

صفحة

٨ تفسير حديث حصين بن عبدالرحمن وحل كلماته اللغوية
٩ ذكر مسائل مأخوذة من الآيات والأحاديث المذكورة في الباب وهي اثنان وعشرون مسألة
١٠ (باب الخوف من الشرك)
١٠ ذكر ما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث
١٠ تفسير الصنم نقلا عن الراغب الاصفهاني
١١ إيراد حديث « اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » الحديث
١١ إيراد مسائل مستنبطة مما ذكر وهي إحدى عشرة مسألة
١١ (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)
١١ إيراد ما جاء في ذلك من الآيات والاحاديث
١٣ ذكر مسائل مستنبطة مما تقدم وهي ثلاثون مسألة

صفحة

١٤ (باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله) إيراد آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل لذلك
١٤ تفسير الوسيلة نقلا عن الامام الراغب الأصفهاني
١٥ إيراد مسائل استنبطها المؤلف رحمه الله تعالى من الآيات والأحاديث المذكورة في الباب
١٦ باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه
١٦ بيان ما ورد في ذلك من آي الذكر الحكيم وأحاديث عن بالمؤمنين رؤوف رحيم
١٧ تفسير الواهنة والنهي عنها
١٧ النهي عن الودعة وتفسيرها
١٨ ذكر المسائل المستنبطة من الآيات والأحاديث المذكورة في الباب وهي احدى عشرة مسألة

صفحة	
١٨	باب ماجاء فى الرقى والتمائم
١٨	تفسير الرقى والتمائم
١٩	النهى عن التمائم والتولة والفلادة وتفسيرها
٢٠	ايراد المسائل المأخوذة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة فى الباب وهى تسعة
٢١	باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما
٢١	ذكر ما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث
٢١	بيان أن اللات والعزى ومناة أسماء أصنام كانت العرب تلجأ إليها وتجعلها واسطة
٢٣	بيان المسائل المستنبطة من الآيات والأحاديث المذكورة فى الباب وهى اثنان وعشرون مسألة
٢٤	باب ماجاء فى الذبح لغير الله

صفحة	
٢٤	ذكر الآيات والاحاديث الدالة على ذلك
٢٥	تفسير اللعن واللعين
٢٦	ايراد المسائل المأخوذة مما تقدم وهى ثلاث عشرة
٢٧	باب لا يذبح لله بمكان فيه لغير الله
٢٧	بيان ماورد فى ذلك
٢٧	ذكر المسائل المستنبطة مما تقدم وهى إحدى عشرة مسألة
٢٨	باب من الشرك النذر لغير الله
٢٨	ما ورد فى ذلك فى الآيات والاحاديث
٢٨	تفسير قوله تعالى (يوفون بالنذر) وقوله) وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر الآية
٢٩	باب من الشرك الاستعاذة بغير الله
٢٩	تفسير الاستعاذة
٣٠	حديث خولة بنت حكيم (من نزل منزلا فقال أعوذ

صفحة	
	بكلمات الله التامة) الحديث وشرحه
٣١	بيان المسائل المأخوذة من آيات الباب وأحاديثه وهي خمسة
٣١	باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره
٣١	تفسير الاستعاذة
٣٢	ما ورد في الاستعاذة من الآيات
٣٣	تفسير الآيات الواردة في ذلك
٣٤	ما ورد في ذلك من الأحاديث
٣٤	ذكر المسائل المستنبطة مما تقدم وهي ثماني عشر مسألة
٣٥	باب قول الله تعالى (أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون) الآية وتفسيرها
٣٦	شرح حديث أنس أن النبي ﷺ قال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » الخ
٣٨	بيان المسائل المستنبطة

صفحة	
	مما تقدم وهي ثلاث عشرة مسألة
٣٩	باب قول الله تعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم) الآية وبيان معناه
٤١	تفسير حديث « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله » الخ
٤٢	بيان حديث « إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة » الخ وبيان من خرجه
٤٣	ذكر المسائل المأخوذة من الآيات الأحاديث المذكورة في الباب وهي اثنان وعشرون مسألة
٤٣	(باب الشفاعة) من الآيات والأحاديث
٤٥	كلام ابن القيم الجوزية في الشفاعة

صفحة	
٤٦	كلام الامام أبي العباس بن تيمية فى الشفاعة
٤٧	بيان المسائل المستنبطة من الباب وهى ثمانية
٤٧	باب قول الله تعالى (انك لاتهدى من أحببت)
٤٧	تفسير الهداية
٤٨	الكلام على وفاة أبى طالب عم الرسول
٤٩	إيراد المسائل المأخوذة من الباب وهى إثنا عشر مسألة
٥٠	باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين
٥٠	ذكر ما ورد فى ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
٥٠	تفسير الغلو
٥١	الكلام على ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر
٥٣	بيان المسائل المستنبطة من الباب وهى عشرون
٥٥	باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده
٥٥	ايراد ما جاء فى ذلك من الآيات والأحاديث
٥٧	بيان الحكمة وان الرسول صلى الله عليه وسلم تبرأ من أن يكون له من الأمة خليل
٥٨	ذكر المسائل المأخوذة مما تقدم وهى ستة عشر
٦٠	باب ما جاء ان الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله تعالى وبيان ما جاء فى ذلك من الآيات والاحاديث
٦٠	كلام ابن قيم الجوزية فى قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد
٦١	نهى النساء عن زيارة القبور
٦٢	بيان المسائل المستنبطة من الباب وهى عشرة
٦٣	باب ما جاء فى حماية المصطفى جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك

صفحة

٦٣ ايراد ما جاء فى الباب من الآيات والأحاديث
٦٥ كلام الامام ابن تيميـــة فى قول الرســول « لا تجعلوا بيوتكم قبورا » الخ
٦٦ ذكر المسائل المأخوذة من الباب وهى تسعة
٦٦ المنع من قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها
٦٨ باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان
٦٨ الكلام على الأوثان والجبت والطاغوت
٧٠ تفسير حديث « لتتبعن سنن من كان قبلكم » الخ
٧٤ تفسير الأئمة المضلين
٧٥ ايراد المسائل المستنبطة من الباب وهى أربعة عشر
٧٧ باب ما جاء فى السحر
٧٧ تفسير السحر
٧٨ ايراد ما جاء من الآيات والأحاديث فى ذلك
٧٩ فائدة فى بيان انفع ما يستعمل لاذهاب السحر

صفحة

٨٠ تفسير حديث « اجتنبوا السبع الموبقات » الخ
٨٢ بيان حد الساحر
٨٣ بيان المسائل المأخوذة مما تقدم وهى ثمانية
٨٤ باب بيان شىء من أنواع السحر
٨٤ تفســـير العيافة والطرق والطيرة
٨٦ تفسير حديث « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر »
٨٧ بيان المنهى عنه من علوم النجوم
٨٩ النهى عن النميمة
٩٠ تفسير حديث ان من البيان لسحرا
٩٠ بيان المسائل المستنبطة من الباب وهى ستة
٩٢ باب ما جاء فى الكهان ونحوهم من الاحاديث
٩٢ تفسير الكاهن

صفحة

٩٣ تفسير العراف
٩٦ ايراد المسائل المأخوذة من الباب وهي ستة
٩٦ باب ما جاء في النشرة من الأحاديث
٩٦ تفسير النشرة وحروف ابي جاد
٩٨ بيان المسائل المستنبطة من الباب هي اثنتان
٩٨ باب ما جاء في التطير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
٩٨ تفسير التطير والطيرة وما جاء فيها عن العرب قبل البعثة
١٠ تفسير قوله تعالى (قالوا طائركم معكم)
١٠ تفسير قوله ﷺ « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »
١٠ تفسير الفأل
١٠ تحريم الطيرة وانها شرك
١٠ ايراد المسائل المستنبطة مما تقدم وهي احدى عشرة مسألة

صفحة

١٠٧ باب ما جاء في التنجيم وأقوال السلف في ذلك
١٠٨ كلام الامام شيخ الاسلام ابن تيمية في التنجيم
١١٠ تفسير قول النبي ﷺ ثلاث لا يدخلون الجنة مدمن خمر ومصدق بالسحر
١١١ باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء
١١١ بيان حكم الاستسقاء بالأنواء
١١٢ تفسير قوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)
١١٣ ايراد المسائل المستنبطة من الباب وهي أربعة
١١٤ تفسير حديث « أربع في أمتي من أمر الجاهلية »
١١٩ ذكر مسائل مأخوذة مما تقدم وهي عشرة
١٢٠ باب قول الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) الآية ، وقوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم)

صفحة

وتفسير ذلك
١٢١ تفسير حديث « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين »
١٢٢ شرح حديث « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان » الخ
١٢٦ ايراد المسائل المأخوذة من الباب وهي إحدى عشرة
١٢٧ باب قول الله تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم) الآية
١٢٧ تعريف الخوف وتقسيمه
١٢٨ تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن) الخ
١٢٩ تفسير قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذى أوذى في الله) الآية
١٣٠ شرح حديث « ان من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله »

صفحة

١٣١ بيان المسائل المستنبطة مما تقدم وهي ثمانية
١٣١ باب قول الله تعالى) وعلى الله فتوكلوا إن كنتم) الآية
١٣١ تفسير التوكل
١٣٢ كلام الامام شمس الدين بن قيم في التوكل
١٣٢ اختلاف العلماء أرباب القلوب الحية في معنى التوكل
١٣٤ تفسير قوله تعالى (إنما المؤمنون إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)
١٣٥ بيان المسائل المأخوذة من الباب وهي ستة
١٣٥ باب قول الله تعالى (افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)
١٣٥ تفسير المكر
١٣٥ تفسير القنوط
١٣٦ بيان الكبائر
١٣٧ باب من الايمان الصبر على اقدار الله
١٣٧ تفسير القدر

صفحة

١٣٨ تفسير قوله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه)

١٣٩ الكلام على لطم الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية

١٣٩ بيان قوله عليه الصلاة والسلام «ليس منا» واقوال العلماء فى ذلك

١٤٠ حديث «إذا اراد الله بعبده الخير عجل له بالعقوبة فى الدنيا وإذا اراد بعبده الشر امسك عنه بذنبه» وبيان معناه

١٤١ ذكر المسائل المستنبطة مما تقدم وهى تسعة

١٤٢ باب ما جاء فى الرياء من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

١٤٢ تفسير الرياء

١٤٣ تفسير قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى)

١٤٣ كلام العلامة ابن قيم الجوزية فى الشرك الأصغر

١٤٤ بيان المسائل المأخوذة من الباب وهى ستة

صفحة

١٤٤ باب من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا

١٤٤ تفسير قوله تعالى (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها)

١٤٥ تفسير حديث «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم» الخ

١٤٨ ايراد المسائل المستنبطة من الباب وهى سبعة

١٤٨ باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحريم ما حرمه فقد اتخذهم أربابا

١٤٩ تفسير قول ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء» الخ

١٥٠ شرح قول الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة) الآية

صفحة
١٥٣ الدليل على ان تحليل ماحرم الله وتحريم ما اباحـــه الله شرك بالله
١٥٣ ذكر المسائل المستنبطة من الباب وهى خمسة
١٥٤ باب قول الله تعالى (ألم ترالى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل إليك) الآية
١٥٤ حكم من تحاكم إلى الطاغون وقد آمن بما انزل على محمد ﷺ
١٥٥ كلام شمس الدين بن قـــيم الجوزية فى قوله تعالى (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها)
١٥٦ تفسير قوله تعالى (الحكم الجاهلية تبغون)
١٥٧ شرح حـــديث « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »
١٦١ ايراد المسائل المأخوذة مما تقدم وهى ثمانية

صفحة
١٦٢ باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات
١٦٢ مذهب أهل السنة والجماعة اثبات صفات البارى تعالى بدون تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه بخلاف المعطلة والجهمية
١٦٤ ذكر المسائل المستنبطة من الباب وهى خمسة
١٦٥ باب قول الله تعالى) يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها)
١٦٥ قول مجاهد فى معنى الآية
١٦٥ ذكر المسائل المأخوذة من الباب
١٦٦ باب قول الله تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا) الآية
١٦٦ قول ابن عباس فى الآية
١٦٦ تفسير الانداد
١٦٧ كفر من حلف بغير الله تعالى
١٦٨ كراهية قول الرجل أعوذ بالله وبك

صفحة

١٦٩ ذكر المسائل المستنبطة من الباب

١٦٩ بيان أسباب العلم النافع

١٧٠ باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

١٧٠ باب قول ماشاء الله وشئت وما ورد فى ذلك

١٧٢ إيراد المسائل المأخوذة مما تقدم

١٧٣ باب من سب الدهر فقد آذى الله

١٧٣ قول البوصيرى فى البردة يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به الخ تعالى منهى عنه

١٧٥ باب التسمى بقاضى القضاة ونحوه

١٧٥ تفسير حديث ان اخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الملوك

١٧٥ ذكر المسائل المأخوذة من الباب

١٧٦ باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير

صفحة

١٧٦ باب من هزل بشىء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول يكفر وما ورد فى ذلك

١٧٨ باب قول الله تعالى (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) الآية

١٧٨ قول مجاهد فى الآية الكريمة وابن عباس وقتادة

١٧٩ شرح حديث الاقرع والابرص والأعمى

١٨٣ باب قول الله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما)

١٨٣ نقل ابن حزم الاندلسى الاتفاق على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك

١٨٤ حكاية ابليس وآدم وحواء

١٨٥ باب قول الله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) الآية

صفحة	
١٨٥	كلام العلامة ابن قيم فى حقيقة الالحاد
١٨٦	باب لايقال السلام على الله
١٨٦	باب قول اللهم اغفرلى ان شئت
١٨٧	باب لا يقول عبدى وامتى
١٨٧	الحكمة فى النهى على اطلاق بعض أسماء على الاشخاص
١٨٨	باب لا يرد من سأل بالله
١٨٨	التفصيل فى رد السائل
١٩١	باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة
١٩٢	باب ما جاء فى لومن الاثار
١٩٣	ايراد المسائل المستنبطة من الباب وهى ستة
١٩٤	باب النهى عن سب الريح
١٩٤	باب قول الله تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) الآية
١٩٥	كلام ابن قيم فى هذه الآية
١٩٦	باب ماجاء فى منكرى القدر
١٩٧	بيان أول من تكلم فى القدر
١٩٩	ذكر المسائل المأخوذة من المتقدم
١٩٩	باب ماجاء فى المصورين
١٩٩	بيان علة النهى عن التصوير
٢٠١	شدة عذاب المصورين
٢٠٤	بيان المسائل المستنبطة من الباب
٢٠٤	كلام العلامة شمس الدين ابن قيم فى القبور المشرفة
٢٠٦	باب ماجاء فى كثرة الحلف من الآيات والاحاديث
٢٠٨	شرح حديث « خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم »
٢١٠	باب ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه
٢١٠	تفسير قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) الآية
٢١١	محاسن الاسلام فى المعاهدات فلدها المخلصون وفر منها المستبعدون
١٢٥	باب ماجاء فى الأقسام على الله والخلق
١٢٧	باب لا يستشفع بالله على خلقه
٢٢١	باب ماجاء فى قول الله تعالى (وماقدروا الله حق قدره)

تم الفهرست